اَلْفَتْوَى اَلْحَمَوِيَّةُ

مُقَدِّمَةٌ

بِسْمِ اَللَّهِ اَلرَّحْمَنِ اَلرَّحِيمِ

سُئِلَ شَيْخُ اَلْإِسْلَامِ أَبُو اَلْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ تَيْمِيَّةَ:

وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ, وَجَرَى بِسَبَبِ هَذَا اَلْجَوَابِ أُمُورٌ وَمِحَنٌ, وَهُوَ جَوَابٌ عَظِيمُ اَلنَّفْعِ جِدًّا. فَقَالَ اَلسَّائِلُ:

مَا قَوْلُكُمْ فِي آيَاتِ اَلصِّفَاتِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ ﴾ [1] [طه:٥٠] وَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ [2] [فُصِّلَتْ:١١], إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ اَلْآيَاتِ وَأَحَادِيثِ اَلصِّفَاتِ كَقَوْلِهِ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اَلرَّحْمَنِ " وَقَوْلِهِ : "يَضَعُ اَلْجَبَّارُ قَدَمَهُ فِي اَلنَّارِ". إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ اَلْأَحَادِيثِ, وَمَا قَالَتْ اَلْعُلَمَاءُ وَابْسُطُوا اَلْقَوْلَ فِي ذَلِكَ مَأْجُورِينَ إِنْ شَاءَ اَللَّهُ تَعَالَى فَأَجَابَ:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ اَلْعَالَمِينَ, قَوْلُنَا فِيهَا مَا قَالَهُ اَللَّهُ وَرَسُولُهُ ﷺ وَالسَّابِقُونَ اَلْأَوَّلُونَ مِنْ اَلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَاَلَّذِينَ اِتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ, وَمَا قَالَهُ أَئِمَّةُ اَلْهُدَى بَعْدَ هَؤُلَاءِ اَلَّذِينَ أَجْمَعَ اَلْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ, وَهَذَا هُوَ اَلْوَاجِبُ عَلَى جَمِيعِ اَلْخَلْقِ فِي هَذَا اَلْبَابِ وَغَيْرِهِ, فَإِنَّ اَللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْهُدَى وَدِينِ اَلْحَقِّ لِيُخْرِجَ اَلنَّاسَ مِنْ اَلظُّلُمَاتِ إِلَى اَلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ اَلْعَزِيزِ اَلْحَمِيدِ, وَشَهِدَ لَهُ بِأَنَّهُ بَعَثَهُ دَاعِيًا إِلَيْهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا, وَأَمَرَهُ أَنْ يَقُولَ ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ۖ ﴾ [3] [يُوسُفَ: ١٠٨].

فَمِنْ اَلْمُحَالِ فِي اَلْعَقْلِ وَالدِّينِ أَنْ يَكُونَ اَلسِّرَاجُ اَلْمُنِيرُ اَلَّذِي أَخْرَجَ اَللَّهُ بِهِ اَلنَّاسَ مِنْ اَلظُّلُمَاتِ إِلَى اَلنُّورِ, وَأَنْزَلَ مَعَهُ اَلْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ اَلنَّاسِ فِيمَا اِخْتَلَفُوا فِيهِ, وَأَمَرَ اَلنَّاسَ أَنْ يَرُدُّوا مَا تَنَازَعُوا فِيهِ

---

١ – سورة طه آية : ٥.

٢ – سورة فصلت آية : ١١.

٣ – سورة يوسف آية : ١٠٨.

مِنْ دِينِهِمْ إِلَى مَا بُعِثَ بِهِ مِنْ اَلْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ, وَهُوَ يَدْعُو إِلَى اَللَّهِ وَإِلَى سَبِيلِهِ بِإِذْنِهِ عَلَى بَصِيرَةٍ, وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ أَكْمَلَ لَهُ وَلِأُمَّتِهِ دِينَهُمْ وَأَتَمَّ عَلَيْهِمْ نِعْمَتَهُ-مُحَالٌ مَعَ هَذَا وَغَيْرِهِ- أَنْ يَكُونَ قَدْ تَرَكَ بَابَ اَلْإِيمَانِ بِاَللَّهِ وَالْعِلْمِ بِهِ مُلْتَبِسًا مُشْتَبَهًا, فَلَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَ مَا يَجِبُ لِلَّهِ مِنْ اَلْأَسْمَاءِ اَلْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ اَلْعُلْيَا, وَمَا يَجُوزُ عَلَيْهِ وَمَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ.

فَإِنَّ مَعْرِفَةَ هَذَا أَصْلُ اَلدِّينِ, وَأَسَاسُ اَلْهِدَايَةِ, وَأَفْضَلُ مَا اكْتَسَبَتْهُ اَلْقُلُوبُ, وَحَصَّلَتْهُ اَلنُّفُوسُ, وَأَدْرَكَتْهُ اَلْعُقُولُ, فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ اَلْكِتَابُ, وَذَلِكَ اَلرَّسُولُ وَأَفْضَلُ خَلْقِ اَللَّهِ بَعْدَ اَلنَّبِيِّينَ لَمْ يُحْكِمُوا هَذَا اَلْبَابَ اِعْتِقَادًا وَقَوْلاً!.

وَمِنْ اَلْمُحَالِ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ اَلنَّبِيُّ ﷺ قَدْ عَلَّمَ أُمَّتَهُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى اَلْخِرَاءَةَ, وَقَالَ ﴿ **تَرَكْتُكُمْ عَلَى اَلْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ** ﴾ وَقَالَ فِيمَا صَحَّ عَنْهُ أَيْضًا ﴿ **مَا بَعَثَ اَللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ شَرِّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ** ﴾ [1].

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه ﴿ **لَقَدْ تُوُفِّيَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ وَمَا مِنْ طَائِرٍ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي اَلسَّمَاءِ إِلَّا ذَكَرَ مِنْهُ عِلْمًا** ﴾ [2].

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ اَلْخَطَّابِ رضي الله عنه ﴿ **قَامَ فِينَا رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ مَقَامًا فَذَكَرَ بَدْءَ اَلْخَلْقِ حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ اَلْجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ وَأَهْلُ اَلنَّارِ مَنَازِلَهُمْ, وَحَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ** ﴾ [3] رَوَاهُ اَلْبُخَارِيُّ.

مُحَالٌ مَعَ تَعْلِيمِهِمْ كُلَّ شَيْءٍ لَهُمْ فِيهِ مَنْفَعَةٌ فِي اَلدِّينِ -وَإِنْ دَقَّتْ- أَنْ يَتْرُكَ تَعْلِيمَهُمْ مَا يَقُولُونَهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَيَعْتَقِدُونَهُ بِقُلُوبِهِمْ فِي رَبِّهِمْ وَمَعْبُودِهِمْ رَبِّ اَلْعَالَمِينَ, اَلَّذِي مَعْرِفَتُهُ غَايَةُ اَلْمَعَارِفِ وَعِبَادَتُهُ أَشْرَفُ اَلْمَقَاصِدِ وَالْوُصُولُ إِلَيْهِ غَايَةُ اَلْمَطَالِبِ, بَلْ هَذَا خُلَاصَةُ اَلدَّعْوَةِ اَلنَّبَوِيَّةِ وَزُبْدَةُ اَلرِّسَالَةِ اَلْإِلَهِيَّةِ, فَكَيْفَ يَتَوَهَّمُ مَنْ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى مِسْكَةٍ مِنْ إِيمَانٍ وَحِكْمَةٍ أَنْ لَا يَكُونَ بَيَانُ هَذَا اَلْبَابِ قَدْ وَقَعَ مِنْ

---

١ - مسلم : الإمارة (١٨٤٤) , والنسائي : البيعة (٤١٩١) , وابن ماجه : الفتن (٣٩٥٦) , وأحمد (١٩١/٢).

٢ - أحمد (١٥٣/٥).

٣ - البخاري : بدء الخلق (٣١٩٢).

اَلرَّسُولِ ﷺ عَلَى غَايَةِ اَلتَّمَامِ, إِذَا كَانَ قَدْ وَقَعَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَمِنْ اَلْمُحَالِ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ أُمَّتِهِ وَأَفْضَلُ قُرُونِهَا قَصَّرُوا فِي هَذَا اَلْبَابِ, زَائِدِينَ فِيهِ أَوْ نَاقِصِينَ عَنْهُ.

ثُمَّ مِنْ اَلْمُحَالِ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ اَلْقُرُونُ اَلْفَاضِلَةُ -اَلْقَرْنُ اَلَّذِي بُعِثَ فِيهِمْ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ ثُمَّ اَلَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ اَلَّذِينَ يَلُونَهُمْ- كَانُوا غَيْرَ عَالِمِينَ وَغَيْرَ قَائِلِينَ فِي هَذَا اَلْبَابِ بِالْحَقِّ اَلْمُبِينِ, لِأَنَّ ضِدَّ ذَلِكَ إِمَّا عَدَمُ اَلْعِلْمِ وَالْقَوْلِ, وَإِمَّا اِعْتِقَادُ نَقِيضِ اَلْحَقِّ وَقَوْلِ خِلَافِ اَلصِّدْقِ. وَكِلَاهُمَا مُمْتَنِعٌ.

أَمَّا اَلْأَوَّلُ فَلِأَنَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى حَيَاةٍ وَطَلَبٍ لِلْعِلْمِ أَوْ نَهْمَةٍ فِي اَلْعِبَادَةِ يَكُونُ اَلْبَحْثُ عَنْ هَذَا اَلْبَابِ وَالسُّؤَالُ عَنْهُ وَمَعْرِفَةُ اَلْحَقِّ فِيهِ أَكْبَرُ مَقَاصِدِهِ وَأَعْظَمُ مَطَالِبِهِ, أَعْنِي: بَيَانَ مَا يَنْبَغِي اِعْتِقَادُهُ, لَا مَعْرِفَةُ كَيْفِيَّةِ اَلرَّبِّ وَصِفَاتِهِ, وَلَيْسَتْ اَلنُّفُوسُ اَلصَّحِيحَةُ إِلَى شَيْءٍ أَشْوَقَ مِنْهَا إِلَى مَعْرِفَةِ هَذَا اَلْأَمْرِ.

وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ بِالْفِطْرَةِ الْوَجْدِيَّةِ, فَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ مَعَ قِيَامِ هَذَا اَلْمُقْتَضَى- اَلَّذِي هُوَ أَقْوَى اَلْمُقْتَضَيَاتِ- أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنْهُ مُقْتَضَاهُ فِي أُولَئِكَ اَلسَّادَّةِ فِي مَجْمُوعِ عُصُورِهِمْ, وَهَذَا لَا يَكَادُ يَقَعُ مِنْ أَبْلَدِ اَلْخَلْقِ, وَأَشَدِّهِمْ إِعْرَاضًا عَنْ اَللَّهِ وَأَعْظَمِهِمْ إِكْبَابًا عَلَى طَلَبِ اَلدُّنْيَا, وَالْغَفْلَةِ عَنْ ذِكْرِ اَللَّهِ, فَكَيْفَ يَقَعُ مِنْ أُولَئِكَ !.

وَأَمَّا كَوْنُهُمْ كَانُوا مُعْتَقِدِينَ فِيهِ غَيْرَ اَلْحَقِّ أَوْ قَائِلِيهِ فَهَذَا لَا يَعْتَقِدُهُ مُسْلِمٌ وَلَا عَاقِلٌ عَرَفَ حَالَ اَلْقَوْمِ.

ثُمَّ اَلْكَلَامُ عَنْهُمْ فِي هَذَا اَلْبَابِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُمْكِنَ سَطْرُهُ فِي هَذِهِ اَلْفَتْوَى أَوْ أَضْعَافِهَا, يَعْرِفُ ذَلِكَ مَنْ طَلَبَهُ وَتَتَبَّعَهُ.

وَلَا يَجُوزُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ اَلْخَالِفُونَ أَعْلَمَ مِنْ اَلسَّالِفِينَ كَمَا يَقُولُهُ بَعْضُ اَلْأَغْبِيَاءِ مِمَّنْ لَمْ يَقْدُرْ قَدْرَ اَلسَّلَفِ, بَلْ وَلَا عَرَفَ اَللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ حَقِيقَةَ اَلْمَعْرِفَةِ اَلْمَأْمُورِ بِهَا مِنْ أَنَّ طَرِيقَةَ اَلسَّلَفِ أَسْلَمُ وَطَرِيقَةَ اَلْخَلَفِ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ, فَإِنَّ هَؤُلَاءِ اَلْمُبْتَدِعَةَ اَلَّذِينَ يُفَضِّلُونَ طَرِيقَةَ اَلْخَلَفِ عَلَى طَرِيقَةِ اَلسَّلَفِ إِنَّمَا أُتُوا مِنْ حَيْثُ ظَنُّوا أَنَّ طَرِيقَةَ اَلسَّلَفِ هِيَ مُجَرَّدُ اَلْإِيمَانِ بِأَلْفَاظِ اَلْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ, مِنْ غَيْرِ فِقْهٍ لِذَلِكَ, بِمَنْزِلَةِ اَلْأُمِّيِّينَ اَلَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ [1] [اَلْبَقَرَة: ٧٨], وَأَنَّ

١ - سورة البقرة آية : ٧٨.

طَرِيقَةَ اَلْخَلَفِ هِيَ اِسْتِخْرَاجُ مَعَانِي اَلنُّصُوصِ اَلْمَصْرُوفَةِ عَنْ حَقَائِقِهَا بِأَنْوَاعِ اَلْمَجَازَاتِ وَغَرَائِبِ اَللُّغَاتِ.

فَهَذَا اَلظَّنُّ اَلْفَاسِدُ أَوْجَبَ تِلْكَ اَلْمَقَالَةَ اَلَّتِي مَضْمُونُهَا نَبْذُ اَلْإِسْلَامِ وَرَاءَ اَلظَّهْرِ, وَقَدْ كَذَبُوا عَلَى طَرِيقَةِ اَلسَّلَفِ, وَضَلُّوا فِي تَصْوِيبِ طَرِيقَةِ اَلْخَلَفِ, فَجَمَعُوا بَيْنَ اَلْجَهْلِ بِطَرِيقَةِ اَلسَّلَفِ فِي اَلْكَذِبِ عَلَيْهِمْ, وَبَيْنَ اَلْجَهْلِ وَالضَّلَالِ بِتَصْوِيبِ طَرِيقَةِ اَلْخَلَفِ.

وَسَبَبُ ذَلِكَ اِعْتِقَادُهُمْ أَنَّهُ لَيْسَ فِي نَفْسِ اَلْأَمْرِ صِفَةٌ دَلَّتْ عَلَيْهَا هَذِهِ اَلنُّصُوصُ لِلشُّبُهَاتِ اَلْفَاسِدَةِ اَلَّتِي شَارَكُوا فِيهَا إِخْوَانَهُمْ مِنْ اَلْكَافِرِينَ, فَلَمَّا اِعْتَقَدُوا اِنْتِفَاءَ اَلصِّفَاتِ فِي نَفْسِ اَلْأَمْرِ -وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ لَا بُدَّ لِلنُّصُوصِ مِنْ مَعْنًى- بَقَوْا مُتَرَدِّدِينَ بَيْنَ اَلْإِيمَانِ بِاللَّفْظِ وَتَفْوِيضِ اَلْمَعْنَى - وَهِيَ اَلَّتِي يُسَمُّونَهَا طَرِيقَةَ اَلسَّلَفِ- وَبَيْنَ صَرْفِ اَللَّفْظِ إِلَى مَعَانٍ بِنَوْعِ تَكَلُّفٍ - وَهِيَ اَلَّتِي يُسَمُّونَهَا طَرِيقَةَ اَلْخَلَفِ- فَصَارَ هَذَا اَلْبَاطِلُ مُرَكَّبًا مِنْ فَسَادِ اَلْعَقْلِ وَالْكُفْرِ بِالسَّمْعِ, فَإِنَّ اَلنَّفْيَ إِنَّمَا اِعْتَمَدُوا فِيهِ عَلَى أُمُورٍ عَقْلِيَّةٍ ظَنُّوهَا بَيِّنَاتٍ وَهِيَ شُبُهَاتٌ, وَالسَّمْعُ حَرَّفُوا فِيهِ اَلْكَلَامَ عَنْ مَوَاضِعِهِ.

فَلَمَّا اِنْبَنَى أَمْرُهُمْ عَلَى هَاتَيْنِ اَلْمُقَدِّمَتَيْنِ اَلْكُفْرِيَّتَيْنِ كَانَتْ اَلنَّتِيجَةُ: اِسْتِجْهَالَ اَلْأَوَّلِينَ, وَاسْتِبْلَاهَهُمْ, وَاعْتِقَادَ أَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا أُمِّيِّينَ, بِمَنْزِلَةِ اَلصَّالِحِينَ مِنْ اَلْعَامَّةِ, لَمْ يَتَبَحَّرُوا فِي حَقَائِقِ اَلْعِلْمِ بِاَللَّهِ, وَلَمْ يَتَفَطَّنُوا لِدَقَائِقِ اَلْعِلْمِ اَلْإِلَهِيِّ, وَأَنَّ اَلْخَلَفَ اَلْفُضَلَاءَ حَازُوا قَصَبَ اَلسَّبْقِ فِي هَذَا كُلِّهِ.

ثُمَّ هَذَا اَلْقَوْلُ إِذَا تَدَبَّرَهُ اَلْإِنْسَانُ وَجَدَهُ فِي غَايَةِ اَلْجَهَالَةِ, بَلْ فِي غَايَةِ اَلضَّلَالَةِ.

كَيْفَ يَكُونُ هَؤُلَاءِ اَلْمُتَأَخِّرِينَ -لَاسِيَّمَا وَالْإِشَارَةُ بِالْخَلَفِ إِلَى ضَرْبٍ مِنْ اَلْمُتَكَلِّمِينَ- اَلَّذِينَ كَثُرَ فِي بَابِ اَلدِّينِ اِضْطِرَابُهُمْ, وَغَلُظَ عَنْ مَعْرِفَةِ اَللَّهِ حِجَابُهُمْ, وَأَخْبَرَ اَلْوَاقِفُ عَلَى نِهَايَاتِ إِقْدَامِهِمْ بِمَا اِنْتَهَى إِلَيْهِ مِنْ مَرَامِهِمْ حَيْثُ يَقُولُ:

لَعَمْرِي لَقَدْ طُفْتُ اَلْمَعَاهِدَ كُلَّهَا ... وَسَيَّرْتُ طَرْفِي بَيْنَ تِلْكَ اَلْمَعَالِمِ
فَلَمْ أَرَ إِلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ ... عَلَى ذَقَنٍ أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمِ

وَأَقَرُّوا عَلَى نُفُوسِهِمْ بِمَا قَالُوهُ مُتَمَثِّلِينَ بِهِ أَوْ مُنْشِئِينَ لَهُ فِيمَا صَنَّفُوهُ مِنْ كُتُبِهِمْ كَقَوْلِ بَعْضِ

رُؤَسَائِهِمْ:

نِهَايَـــةُ إِقْـــدَامِ اَلْعُقُـــولِ عِقَـــالُ وَأَكْثَـــرُ سَـــعْيِ اَلْعَـــالَمِينَ ضَـــلَالُ
وَأَرْوَاحُنَـــا فِـــي وَحْـــشَةٍ مِـــنْ جُـــسُومِنَا وَغَايَـــةُ دُنْيَانَـــا أَذًى وَوَبَـــالُ
وَلَمْ نَـــسْتَفِدْ مِـــنْ بَحْثِنَـــا طُـــولَ عُمْرِنَـــا سِـــوَى أَنْ جَمَعْنَـــا فِيـــهِ قِيـــلَ وَقَـــالُوا

لَقَدْ تَأَمَّلْتُ اَلطُّرُقَ اَلْكَلَامِيَّةَ, وَالْمَنَاهِجَ اَلْفَلْسَفِيَّةَ, فَمَا رَأَيْتُهَا تَشْفِي عَلِيلاً, وَلَا تَرْوِي غَلِيلاً, وَرَأَيْتُ أَقْرَبَ اَلطُّرُقِ طَرِيقَةَ اَلْقُرْآنِ.

أَقْرَأُ فِي اَلْإِثْبَاتِ ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ ﴾ [1] [طَه: ٥], ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [2] [فَاطِر: ١٠] وَأَقْرَأُ فِي اَلنَّفْيِ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾ [3] [اَلشُّورَى: ١١], ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ۝ ﴾ [4] [طَه: ١١٠], وَمَنْ جَرَّبَ مِثْلَ تَجْرِبَتِي عَرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي.

وَيَقُولُ اَلْآخَرُ مِنْهُمْ: وَلَقَدْ خُضْتُ اَلْبَحْرَ اَلْخِضَمَّ, وَتَرَكْتُ أَهْلَ اَلْإِسْلَامِ وَعُلُومَهُمْ, خُضْتُ فِي اَلَّذِي نَهَوْنِي عَنْهُ, وَالْآنَ إِنْ لَمْ يَتَدَارَكْنِي رَبِّي بِرَحْمَةٍ مِنْهُ فَالْوَيْلُ لِفُلَانٍ, وَهَا أَنَا ذَا أَمُوتُ عَلَى عَقِيدَةِ أُمِّي.

وَيَقُولُ اَلْآخَرُ مِنْهُمْ: أَكْثَرُ اَلنَّاسِ شَكًّا عِنْدَ اَلْمَوْتِ أَصْحَابُ اَلْكَلَامِ.

ثُمَّ هَؤُلَاءِ اَلْمُتَكَلِّمُونَ اَلْمُخَالِفُونَ لِلسَّلَفِ إِذَا حُقِّقَ عَلَيْهِمْ اَلْأَمْرُ لَمْ يُوجَدْ عِنْدَهُمْ مِنْ حَقِيقَةِ اَلْعِلْمِ بِاَللَّهِ وَخَالِصِ اَلْمَعْرِفَةِ بِهِ خَبَرٌ.

وَلَمْ يَقِفُوا مِنْ ذَلِكَ عَلَى عَيْنٍ وَلَا أَثَرٍ, كَيْفَ يَكُونُ هَؤُلَاءِ اَلْمَحْجُوبُونَ اَلْمَنْقُوصُونَ اَلْمَسْبُوقُونَ اَلْحَيَارَى اَلْمُتَهَوِّكُونَ: أَعْلَمَ بِاَللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ, وَأَحْكَمَ فِي بَابِ آيَاتِهِ وَذَاتِهِ مِنْ اَلسَّابِقِينَ اَلْأَوَّلِينَ مِنْ

١ – سورة طه آية : ٥.
٢ – سورة فاطر آية : ١٠.
٣ – سورة الشورى آية : ١١.
٤ – سورة طه آية : ١١٠.

اَلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ, وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ, مِنْ وَرَثَةِ اَلْأَنْبِيَاءِ وَخُلَفَاءِ اَلرُّسُلِ, وَأَعْلَامِ اَلْهُدَى وَمَصَابِيحِ اَلدُّجَى, اَلَّذِينَ بِهِمْ قَامَ اَلْكِتَابُ وَبِهِ قَامُوا, وَبِهِمْ نَطَقَ اَلْكِتَابُ وَبِهِ نَطَقُوا, اَلَّذِينَ وَهَبَهُمْ اَللَّهُ مِنْ اَلْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ مَا بَرَزُوا بِهِ عَلَى سَائِرِ أَتْبَاعِ اَلْأَنْبِيَاءِ, فَضْلاً عَنْ سَائِرِ اَلْأُمَمِ اَلَّذِينَ لَا كِتَابَ لَهُمْ, وَأَحَاطُوا مِنْ حَقَائِقِ اَلْمَعَارِفِ وَبَوَاطِنِ اَلْحَقَائِقِ بِمَا لَوْ جُمِعَتْ حِكْمَةُ غَيْرِهِمْ إِلَيْهَا لَاسْتَحْيَا مَنْ يَطْلُبُ اَلْمُقَابَلَةَ.

ثُمَّ كَيْفَ يَكُونُ خَيْرُ قُرُونِ اَلْأُمَّةِ أَنْقَصَ فِي اَلْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ-لَاسِيَّمَا اَلْعِلْمِ بِاَللَّهِ وَأَحْكَامِ آيَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ- مِنْ هَؤُلَاءِ اَلْأَصَاغِرِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ أَمْ كَيْفَ يَكُونُ أَفْرَاخُ اَلْمُتَفَلْسِفَةِ وَأَتْبَاعُ اَلْهِنْدِ وَاَلْيُونَانِ, وَرَثَةُ اَلْمَجُوسِ وَالْمُشْرِكِينَ وَضُلَّالُ اَلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ وَأَشْكَالُهُمْ وَأَشْبَاهُهُمْ, أَعْلَمَ بِاَللَّهِ مِنْ وَرَثَةِ اَلْأَنْبِيَاءِ وَأَهْلِ اَلْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ !.

وَإِنَّمَا قَدَّمْتُ هَذِهِ اَلْمُقَدِّمَةَ لِأَنَّ مَنْ اِسْتَقَرَّتْ هَذِهِ اَلْمُقَدِّمَةُ عِنْدَهُ عَلِمَ طَرِيقَ اَلْهُدَى أَيْنَ هُوَ فِي هَذَا اَلْبَابِ وَغَيْرِهِ, وَعَلِمَ أَنَّ اَلضَّلَالَ وَالتَّهَوُّكَ إِنَّمَا اِسْتَوْلَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْ اَلْمُتَأَخِّرِينَ بِنَبْذِهِمْ كِتَابَ اَللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ, وَإِعْرَاضِهِمْ عَمَّا بَعَثَ اَللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ مِنْ اَلْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى, وَتَرْكِهِمْ اَلْبَحْثَ عَنْ طَرِيقِ اَلسَّابِقِينَ وَالتَّابِعِينَ وَالْتِمَاسِهِمْ عِلْمَ مَعْرِفَةِ اَللَّهِ مِمَّنْ يَعْرِفُ اَللَّهَ بِإِقْرَارِهِ عَلَى نَفْسِهِ, وَلِشَهَادَةِ اَلْأُمَّةِ عَلَى ذَلِكَ, وَبِدَلَالَاتٍ كَثِيرَةٍ, وَلَيْسَ غَرَضِي وَاحِدًا وَإِنَّمَا أَصِفُ نَوْعَ هَؤُلَاءِ, وَنَوْعَ هَؤُلَاءِ.

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ: فَهَذَا كِتَابُ اَللَّهِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ, وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا, ثُمَّ عَامَّةُ كَلَامِ اَلصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ, ثُمَّ كَلَامُ سَائِرِ اَلْأُمَّةِ مَمْلُوءٌ بِمَا هُوَ إِمَّا نَصٌّ وَإِمَّا ظَاهِرٌ فِي أَنَّ اَللَّهَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ وَعَلِيٌّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ, وَأَنَّهُ فَوْقَ اَلْعَرْشِ, وَأَنَّهُ فَوْقَ اَلسَّمَاءِ, مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ ﴾ [1] [فَاطِر:١٠] ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [2] [آل عِمْرَانَ:٥٥] ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن

١ – سورة فاطر آية : ١٠.

٢ – سورة آل عمران آية : ٥٥.

يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ [1].

[اَلْمُلْك:١٥-١٦] ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [2] [اَلنِّسَاء:١٥٨] ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [3] [اَلْمَعَارِج:٤], ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ [4].

[اَلسَّجْدَة:٥], ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [5] [اَلنَّحْل:٥٠], ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [6] [يُونُس:٣] فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ, ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [7] [طَه:٥], ﴿ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾ [8] [غَافِر:٣٦-٣٧] ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢ ﴾ [9] [فُصِّلَتْ:٤٢] ﴿ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ ﴾ [10] [اَلْأَنْعَام:١١٤], إِلَى أَمْثَالِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَكَادُ يُحْصَى إِلَّا بِكُلْفَةٍ.

وَفِي اَلْأَحَادِيثِ اَلصِّحَاحِ وَالْحِسَانِ مَا لاَ يُحْصَى.

مِثْلُ قِصَّةِ مِعْرَاجِ رَسُولِ اَللَّهِ ﷺ إِلَى رَبِّهِ, وَنُزُولِ اَلْمَلَائِكَةِ مِنْ عِنْدِ اَللَّهِ وَصُعُودِهِمْ إِلَيْهِ, وَقَوْلِ اَلْمَلَائِكَةِ اَلَّذِينَ يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ, فَيَعْرُجُ اَلَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ إِلَى رَبِّهِمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ.

وَفِي اَلصَّحِيحِ فِي حَدِيثِ اَلْخَوَارِجِ: ﴿ **أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي اَلسَّمَاءِ يَأْتِينِي خَبَرُ اَلسَّمَاءِ**

---

١ - سورة الملك آية : ١٦-١٧.

٢ - سورة النساء آية : ١٥٨.

٣ - سورة المعارج آية : ٤.

٤ - سورة السجدة آية : ٥.

٥ - سورة النحل آية : ٥٠.

٦ - سورة يونس آية : ٣.

٧ - سورة طه آية : ٥.

٨ - سورة غافر آية : ٣٦.

٩ - سورة فصلت آية : ٤٢.

١٠ - سورة الأنعام آية : ١١٤.

صَبَاحًا وَمَسَاءً ﴾ [1].

وَفِي حَدِيثِ اَلرُّقْيَةِ اَلَّذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ: ﴿ **رَبُّنَا اَللَّهُ اَلَّذِي فِي اَلسَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُك, أَمْرُك فِي اَلسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ, كَمَا رَحْمَتُك فِي اَلسَّمَاءِ, اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي اَلْأَرْضِ اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا, أَنْتَ رَبُّ اَلطَّيِّبِينَ, أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ, وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا اَلْوَجَعِ** ﴾ [2].

قَالَ ﷺ ﴿ **إذَا اشْتَكَى أَحَدٌ مِنْكُمْ, أَوْ اشْتَكَى أَخٌ لَهُ فَلْيَقُلْ رَبُّنَا اَللَّهُ اَلَّذِي فِي اَلسَّمَاءِ** ﴾ [3] وَذَكَرَهُ.

وَقَوْلُهُ فِي حَدِيثِ اَلْأَوْعَالِ ﴿ **وَالْعَرْشُ فَوْقَ ذَلِكَ, وَاَللَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ, وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ** ﴾ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَهَذَا اَلْحَدِيثُ مَعَ أَنَّهُ قَدْ رَوَاهُ أَهْلُ اَلسُّنَنِ كَأَبِي دَاوُدَ, وَابْنُ مَاجَهْ, وَاَلتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُمْ, فَهُوَ مَرْوِيٌّ مِنْ طَرِيقَيْنِ مَشْهُورَيْنِ, فَالْقَدْحُ فِي أَحَدِهِمَا لَا يَقْدَحُ فِي اَلْآخَرِ, وَقَدْ رَوَاهُ إمَامُ اَلْأَئِمَّةِ اِبْنُ خُزَيْمَةَ فِي كِتَابِ اَلتَّوْحِيدِ, اَلَّذِي اشْتَرَطَ فِيهِ أَنَّهُ لَا يَحْتَجُّ فِيهِ إلَّا بِمَا نَقَلَهُ اَلْعَدْلُ عَنْ اَلْعَدْلِ, مَوْصُولًا إلَى اَلنَّبِيِّ ﷺ.

وَقَوْلُهُ فِي اَلْحَدِيثِ اَلصَّحِيحِ لِلْجَارِيَةِ: ﴿ **أَيْنَ اَللَّهُ قَالَتْ فِي اَلسَّمَاءِ, قَالَ : مَنْ أَنَا قَالَتْ: رَسُولُ اَللَّهِ, قَالَ: أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ** ﴾ [4].

وَقَوْلُهُ فِي اَلْحَدِيثِ اَلصَّحِيحِ: ﴿ **إنَّ اَللَّهَ لَمَّا خَلَقَ اَلْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ مَوْضُوعٍ عِنْدَهُ فَوْقَ اَلْعَرْشِ, إنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي** ﴾ [5].

---

١ – البخاري : المغازي (٤٣٥١) , ومسلم : الزكاة (١٠٦٤) , والنسائي : الزكاة (٢٥٧٨) , وأبو داود : السنة (٤٧٦٤) , وأحمد (٦٨/٣).

٢ – أبو داود : الطب (٣٨٩٢).

٣ – أبو داود : الطب (٣٨٩٢).

٤ – مسلم : المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٧) , والنسائي : السهو (١٢١٨) , وأبو داود : الصلاة (٩٣٠).

٥ – البخاري : التوحيد (٧٤٢٢) , ومسلم : التوبة (٢٧٥١) , والترمذي : الدعوات (٣٥٤٣) , وابن ماجه : المقدمة (١٨٩) , وأحمد (٢٥٧/٢).

وَقَوْلُهُ فِي حَدِيثِ قَبْضِ اَلرُّوحِ: ﴿ **حَتَّى يُعْرَجَ بِهَا إِلَى اَلسَّمَاءِ اَلَّتِي فِيهَا اَللَّهُ** ﴾ [1] إِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِ اَلصَّحِيحَيْنِ.

وَقَوْلُ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ رضي الله عنه اَلَّذِي أَنْشَدَهُ اَلنَّبِيَّ ﷺ وَأَقَرَّهُ عَلَيْهِ:

شَـــهِدْتُ بِـــأَنَّ وَعْـــدَ اَللَّـــهِ حَـــقٌّ ... وَأَنَّ اَلنَّـــــارَ مَثْـــــوَى الْكَافِرِينَـــــا

وَأَنَّ اَلْعَـــرْشَ فَـــوْقَ اَلْمَـــاءِ طَـــافٍ ... وَفَـــــوْقَ اَلْعَـــــرْشِ رَبُّ اَلْعَالَمِينَـــــا

وَقَوْلُ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي اَلصَّلْتِ اَلثَّقَفِيِّ اَلَّذِي أُنْشِدَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ وَغَيْرُهُ مِنْ شِعْرِهِ فَاسْتَحْسَنَهُ وَقَالَ: ﴿ **آمَنَ شِعْرُهُ وَكَفَرَ قَلْبُهُ** ﴾.

مَجِّـــدُوا اَللَّـــهَ فَهُـــوَ لِلْمَجْـــدِ أَهْـــلٌ ... رَبُّنَـــا فِـــي اَلـــسَّمَاءِ أَمْـــسَى كَـــبِيرَا

بِالْبِنَـــاءِ اَلْـــأَعْلَى اَلَّـــذِي سَـــبَقَ اَلنَّـــاسَ ... وَسَـــوَّى فَـــوْقَ اَلـــسَّمَاءِ سَـــرِيرَا

شَـــرْجَعًا مَـــا يَنَالُـــهُ بَـــصَرُ اَلْعَـــيْنِ ... يَـــرَى دُونَـــهُ اَلْمَلَائِكَـــةُ صُـــورَا

وَقَوْلُهُ فِي اَلْحَدِيثِ اَلَّذِي فِي اَلسُّنَنِ: ﴿ **إِنَّ اَللَّهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا** ﴾ [2] وَقَوْلُهُ: ﴿ **يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى اَلسَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ.** ﴾.

إِلَى أَمْثَالِ ذَلِكَ مِمَّا لاَ يُحْصِيهِ إِلَّا اَللَّهُ, مِمَّا هُوَ مِنْ أَبْلَغِ اَلْمُتَوَاتِرَاتِ اَللَّفْظِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ, اَلَّتِي تُورِثُ عِلْمًا يَقِينِيًّا مِنْ أَبْلَغِ اَلْعُلُومِ اَلضَّرُورِيَّةِ أَنَّ اَلرَّسُولَ ﷺ اَلْمُبَلِّغ عَنْ اَللَّهِ أَلْقَى إِلَى أُمَّتِهِ اَلْمَدْعُوِّينَ أَنَّ اَللَّهَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ اَلْعَرْشِ وَأَنَّهُ فَوْقَ اَلسَّمَاءِ, كَمَا فَطَرَ اَللَّهُ جَمِيعَ اَلْأُمَمِ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ, فِي اَلْجَاهِلِيَّةِ

---

١ – ابن ماجه : الزهد (٤٢٦٢) , وأحمد (٣٦٤/٢).

٢ – الترمذي : الدعوات (٣٥٥٦) , وأبو داود : الصلاة (١٤٨٨) , وابن ماجه : الدعاء (٣٨٦٥) , وأحمد (٤٣٨/٥).

وَالْإِسْلَامِ, إِلَّا مَنْ اجْتَالَتْهُ الشَّيَاطِينُ عَنْ فِطْرَتِهِ.

ثُمَّ عِنْدَ السَّلَفِ فِي ذَلِكَ مِنْ الْأَقْوَالِ مَا لَوْ جُمِعَ لَبَلَغَ مِئَاتٍ, أَوْ أُلُوفًا.

ثُمَّ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا فِي سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَلَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ لَا مِنْ الصَّحَابَةِ, وَالتَّابِعِينَ, وَلَا عَنْ أَئِمَّةِ الدِّينِ- الَّذِينَ أَدْرَكُوا زَمَنَ الْأَهْوَاءِ وَالِاخْتِلَافِ- حَرْفٌ وَاحِدٌ يُخَالِفُ ذَلِكَ لَا نَصًّا وَلَا ظَاهِرًا.

وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ قَطُّ إنَّ اللَّهَ لَيْسَ فِي السَّمَاءِ, وَلَا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْعَرْشِ, وَلَا أَنَّهُ بِذَاتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ, وَلَا أَنَّ جَمِيعَ الْأَمْكِنَةِ بِالنِّسْبَةِ إلَيْهِ سَوَاءٌ, وَلَا أَنَّهُ لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ وَلَا مُتَّصِلَ وَلَا مُنْفَصِلَ, وَلَا أَنَّهُ تَجُوزُ الْإِشَارَةُ الْحِسِّيَّةُ إلَيْهِ بِالْأُصْبُعِ وَنَحْوِهَا, بَلْ قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه ﴿ **أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا خَطَبَ خُطْبَتَهُ الْعَظِيمَةَ يَوْمَ عَرَفَاتٍ, فِي أَعْظَمِ مَجْمَعٍ حَضَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, جَعَلَ يَقُولُ: أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ, فَيَرْفَعُ أُصْبُعَهُ إلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُبُهَا إلَيْهِمْ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ** ﴾ [1] غَيْرَ مَرَّةٍ, وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ.

فَإِنْ كَانَ الْحَقُّ فِيمَا يَقُولُهُ هَؤُلَاءِ السَّالِبُونَ النَّافُونَ لِلصِّفَاتِ الثَّابِتَةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ, مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَاتِ وَنَحْوِهَا دُونَ مَا يُفْهَمُ مِنْ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ إمَّا نَصًّا وَإِمَّا ظَاهِرًا, فَكَيْفَ يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ ثُمَّ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ ثُمَّ عَلَى خَيْرِ الْأُمَّةِ أَنَّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ دَائِمًا بِمَا هُوَ نَصٌّ أَوْ ظَاهِرٌ فِي خِلَافِ الْحَقِّ الَّذِي يَجِبُ اعْتِقَادُهُ وَلَا يَبُوحُونَ بِهِ قَطُّ, وَلَا يَدُلُّونَ عَلَيْهِ لَا نَصًّا وَلَا ظَاهِرًا, حَتَّى يَجِيءَ أَنْبَاطُ الْفُرْسِ وَالرُّومِ وَفُرُوخُ الْيَهُودِ وَالْفَلَاسِفَةِ يُبَيِّنُونَ لِلْأُمَّةِ الْعَقِيدَةَ الصَّحِيحَةَ الَّتِي يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ, أَوْ كُلِّ فَاضِلٍ أَنْ يَعْتَقِدَهَا!.

لَئِنْ كَانَ مَا يَقُولُهُ هَؤُلَاءِ الْمُتَكَلِّمُونَ الْمُتَكَلِّفُونَ هُوَ الِاعْتِقَادُ الْوَاجِبُ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ أُحِيلُوا فِي مَعْرِفَتِهِ عَلَى مُجَرَّدِ عُقُولِهِمْ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ نَصًّا أَوْ ظَاهِرًا, لَقَدْ كَانَ تَرْكُ النَّاسِ بِلَا كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ

---

١ - البخاري : الأضاحي (٥٥٥٠) , ومسلم : القسامة والمحاربين والقصاص والديات (١٦٧٩) , وابن ماجه : المقدمة (٢٣٣).

أَهْدَى لَهُمْ وَأَنْفَعَ عَلَى هَذَا اَلتَّقْدِيرِ, بَلْ كَانَ وُجُودُ اَلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ضَرَرًا مَحْضًا فِي أَصْلِ اَلدِّينِ.

فَإِنَّ حَقِيقَةَ اَلْأَمْرِ عَلَى مَا يَقُولُهُ هَؤُلَاءِ أَنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ اَلْعِبَادِ لَا تَطْلُبُوا مَعْرِفَةَ اَللَّهِ ﷻ وَمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ اَلصِّفَاتِ نَفْيًا وَلَا إثْبَاتًا لَا مِنْ اَلْكِتَابِ وَلَا مِنْ اَلسُّنَّةِ وَلَا مِنْ طَرِيقِ سَلَفِ اَلْأُمَّةِ.

وَلَكِنْ اُنْظُرُوا أَنْتُمْ فَمَا وَجَدْتُمُوهُ مُسْتَحِقًّا لَهُ مِنْ اَلْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ فَصِفُوهُ بِهِ-سَوَاءٌ كَانَ مَوْجُودًا فِي اَلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَوْ لَمْ يَكُنْ- وَمَا لَمْ تَجِدُوهُ مُسْتَحِقًّا لَهُ فِي عُقُولِكُمْ فَلَا تَصِفُوهُ بِهِ! ثُمَّ هُمْ هَهُنَا فَرِيقَانِ: أَكْثَرُهُمْ يَقُولُونَ: مَا لَمْ تُثْبِتُهُ عُقُولُكُمْ فَانْفُوهُ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: بَلْ تَوَقَّفُوا فِيهِ, وَمَا نَفَاهُ قِيَاسُ عُقُولِكُمْ- اَلَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ مُضْطَرِبُونَ اِخْتِلَافًا أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ اِخْتِلَافٍ عَلَى وَجْهِ اَلْأَرْضِ- فَانْفُوهُ, وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: بَلْ تَوَقَّفُوافِيهِ, وَمَا نَفَاهُ قِيَاسُ عُقُولِكُمْ- اَلَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ مُضْطَرِبُونَ اِخْتِلَافًا أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ اِخْتِلَافٍ عَلَى وَجْهِ اَلْأَرْضِ- فَانْفُوهُ, وَإِلَيْهِ عِنْدَ اَلتَّنَازُعِ فَارْجِعُوا, فَإِنَّهُ اَلْحَقُّ اَلَّذِي تَعَبَّدْتُكُمْ بِهِ, وَمَا كَانَ مَذْكُورًا فِي اَلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِمَّا يُخَالِفُ قِيَاسَكُمْ هَذَا, أَوْ يُثْبِتُ مَا لَمْ تُدْرِكْهُ عُقُولُكُمْ- عَلَى طَرِيقَةِ أَكْثَرِهِمْ- فَاعْلَمُوا أَنِّي أَمْتَحِنُكُمْ بِتَنْزِيلِهِ لَا لِتَأْخُذُوا اَلْهُدَى مِنْهُ, لَكِنْ لِتَجْتَهِدُوا فِي تَخْرِيجِهِ عَلَى شَوَاذِّ اَللُّغَةِ, وَوَحْشِيِّ اَلْأَلْفَاظِ, وَغَرَائِبِ اَلْكَلَامِ, وَأَنْ تَسْكُتُوا عَنْهُ مُفَوِّضِينَ عِلْمَهُ إلَى اَللَّهِ, مَعَ نَفْيِ دَلَالَتِهِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ اَلصِّفَاتِ, هَذَا حَقِيقَةُ اَلْأَمْرِ عَلَى رَأْيِ هَؤُلَاءِ اَلْمُتَكَلِّمِينَ.

وَهَذَا اَلْكَلَامُ قَدْ رَأَيْتُهُ صَرَّحَ بِمَعْنَاهُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ, وَهُوَ لَازِمٌ لِجَمَاعَتِهِمْ لُزُومًا لَا مَحِيدَ عَنْهُ, وَمَضْمُونُهُ أَنَّ كِتَابَ اَللَّهِ لَا يُهْتَدَى بِهِ فِي مَعْرِفَةِ اَللَّهِ, وَأَنَّ اَلرَّسُولَ ﷺ مَعْزُولٌ عَنْ اَلتَّعْلِيمِ وَالْإِخْبَارِ بِصِفَاتِ مَنْ أَرْسَلَهُ, وَأَنَّ اَلنَّاسَ عِنْدَ اَلتَّنَازُعِ لَا يَرُدُّونَ مَا تَنَازَعُوا فِيهِ إلَى اَللَّهِ وَالرَّسُولِ, بَلْ إلَى مِثْلِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي اَلْجَاهِلِيَّةِ, وَإِلَى مِثْلِ مَا يَتَحَاكَمُ إلَيْهِ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِالْأَنْبِيَاءِ كَالْبَرَاهِمَةِ, وَالْفَلَاسِفَةِ- وَهُمْ اَلْمُشْرِكُونَ- وَالْمَجُوسُ, وَبَعْضُ اَلصَّابِئِينَ.

وَإِنْ كَانَ هَذَا اَلرَّدُّ لَا يَزِيدُ اَلْأَمْرَ إلَّا شِدَّةً وَلَا يَرْتَفِعُ اَلْخِلَافُ بِهِ إذْ لِكُلِّ فَرِيقٍ طَوَاغِيتُ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إلَيْهِمْ, وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِمْ, وَمَا أَشْبَهَ حَالَ هَؤُلَاءِ اَلْمُتَكَلِّفِينَ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿

أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنًا وَتَوۡفِيقًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [1] [النِّسَاء:٦٠-٦٢] فَإِنَّ هَؤُلَاءِ إِذَا دُعُوا إِلَى مَا أَنْزَلَ اَللَّهُ مِنْ اَلْكِتَابِ وَإِلَى اَلرَّسُولِ- وَالدُّعَاءِ بَعْدَ وَفَاتِهِ هُوَ اَلدُّعَاءُ إِلَى سُنَّتِهِ- أَعْرَضُوا عَنْ ذَلِكَ وَهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّا قَصَدْنَا اَلْإِحْسَانَ عِلْمًا وَعَمَلاً بِهَذِهِ اَلطَّرِيقِ اَلَّتِي سَلَكْنَاهَا, وَالتَّوْفِيقُ بَيْنَ اَلدَّلَائِلِ اَلْعَقْلِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ.

ثُمَّ عَامَّةُ هَذِهِ اَلشُّبُهَاتِ اَلَّتِي يُسَمُّونَهَا دَلَائِلَ إِنَّمَا تَقَلَّدُوا أَكْثَرَهَا عَنْ طَوَاغِيتِ اَلْمُشْرِكِينَ أَوْ اَلصَّابِئِينَ, أَوْ بَعْضِ وَرَثَتِهِمْ اَلَّذِينَ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِمْ, مِثْلَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ, أَوْ عَنْ مَنْ قَالَ كَقَوْلِهِمْ لِتَشَابُهِ قُلُوبِهِمْ ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [2] [اَلنِّسَاءِ:٦٥], ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ ﴾ [3] [اَلْبَقَرَة:٢١٣].

وَلَازِمُ هَذِهِ اَلْمَقَالَةِ: أَنْ لَا يَكُونَ اَلْكِتَابُ هُدًى لِلنَّاسِ, وَلَا بَيَانًا وَلَا شِفَاءً لِمَا فِي اَلصُّدُورِ وَلَا نُورًا وَلَا مَرَدًّا عِنْدَ اَلتَّنَازُعِ, إِنَّا نَعْلَمُ بِالِاضْطِرَارِ أَنَّ مَا يَقُولُهُ هَؤُلَاءِ اَلْمُتَكَلِّفُونَ أَنَّ اَلْحَقَّ اَلَّذِي يَجِبُ اِعْتِقَادُهُ لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ اَلْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ, لَا نَصًّا وَلَا ظَاهِرًا, وَإِنَّمَا غَايَةُ اَلْمُتَحَذْلِقِ أَنْ يَسْتَنْتِجَ هَذَا مِنْ قَوْلِهِ ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾ ﴾ [4] [اَلْإِخْلَاص:٤] , ﴿ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [5] [مَرْيَم:٦٥].

---

١ - سورة النساء آية : ٦٠-٦٢.

٢ - سورة النساء آية : ٦٥.

٣ - سورة البقرة آية : ٢١٣.

٤ - سورة الإخلاص آية : ٤.

٥ - سورة مريم آية : ٦٥.

وَبِالاضْطِرَارِ يَعْلَمُ كُلُّ عَاقِلٍ أَنَّ مَنْ دَلَّ الْخَلْقَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ عَلَى الْعَرْشِ, وَلَا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ, وَنَحْوِ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ, سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [1] لَقَدْ أَبْعَدَ النُّجْعَةَ وَهُوَ إِمَّا مُلْغِزٌ أَوْ مُدَلِّسٌ, لَكَ يُخَاطِبُهُمْ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ.

وَلَازِمُ هَذِهِ الْمَقَالَةِ أَنْ يَكُونَ تَرْكُ النَّاسِ بِلَا رِسَالَةٍ خَيْرًا لَهُمْ فِي أَصْلِ دِينِهِمْ, لِأَنَّ مَرَدَّهُمْ قَبْلَ الرِّسَالَةِ وَبَعْدَهَا وَاحِدٌ, وَإِنَّمَا الرِّسَالَةُ زَادَتْهُمْ عَمًى وَضَلَالاً.

يَا سُبْحَانَ اللَّهِ! كَيْفَ لَمْ يَقُلْ الرَّسُولُ ﷺ يَوْمًا مِنْ الدَّهْرِ, وَلَا أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ : هَذِهِ الْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ لَا تَعْتَقِدُوا مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ, لَكِنْ اعْتَقِدُوا الَّذِي تَقْتَضِيهِ مَقَايِيسُكُمْ, أَوْ اعْتَقِدُوا كَذَا وَكَذَا فَإِنَّهُ الْحَقُّ, وَمَا خَالَفَ ظَاهِرُهُ فَلَا تَعْتَقِدُوا ظَاهِرَهُ, وَانْظُرُوا فِيهَا فَمَا وَافَقَ قِيَاسَ عُقُولِكُمْ فَاعْتَقِدُوهُ, وَمَا لَا فَتَوَقَّفُوا فِيهِ وَانْفُوهُ.

ثُمَّ الرَّسُولُ ﷺ قَدْ أَخْبَرَ بِأَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ فِرْقَةً, فَقَدْ عَلِمَ مَا سَيَكُونُ, ثُمَّ قَالَ: ﴿ **إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا, كِتَابَ اللَّهِ** ﴾ [2].

وَرُوِيَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي صِفَةِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ: ﴿ **هُوَ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي** ﴾ [3].

فَمَنْ تَمَسَّكَ بِظَاهِرِ الْقُرْآنِ فِي بَابِ الِاعْتِقَادِ فَهُوَ ضَالٌّ وَإِنَّمَا الْهُدَى رُجُوعُكُمْ إِلَى مَقَايِيسِ عُقُولِكُمْ, وَمَا يُحْدِثُهُ الْمُتَكَلِّمُونَ مِنْكُمْ بَعْدَ الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ, وَإِنْ كَانَ قَدْ نَبَغَ أَصْلُهَا فِي أَوَاخِرِ عَصْرِ التَّابِعِينَ.

ثُمَّ أَصْلُ هَذِهِ الْمَقَالَةِ- مَقَالَةِ التَّعْطِيلِ لِلصِّفَاتِ- إِنَّمَا هُوَ مَأْخُوذٌ عَنْ تَلَامِذَةِ الْيَهُودِ وَالْمُشْرِكِينَ, وَضُلَّالِ الصَّابِئِينَ, لِأَنَّ أَوَّلَ مَنْ حُفِظَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ فِي الْإِسْلَامِ هُوَ الْجَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ, وَأَخَذَهَا عَنْهُ الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ, وَأَظْهَرَهَا فَنُسِبَتْ مَقَالَةُ الْجَهْمِيَّةِ إِلَيْهِ, وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الْجَعْدَ أَخَذَ مَقَالَتَهُ عَنْ أَبَانَ بْنِ

---

١ – سورة مريم آية : ٦٥.

٢ – الترمذي : المناقب (٣٧٨٨) , وأحمد (١٤/٣).

٣ – الترمذي : الإيمان (٢٦٤١).

سَمْعَانَ, وَأَخَذَهَا أَبَانُ عَنْ طَالُوتَ بْنِ أُخْتِ لَبِيدِ بْنِ اَلْأَعْصَمِ, وَأَخَذَهَا طَالُوتُ مِنْ لَبِيدِ بْنِ اَلْأَعْصَمِ اَلْيَهُودِيِّ اَلسَّاحِرِ اَلَّذِي سَحَرَ اَلنَّبِيَّ ﷺ.

وَكَانَ اَلْجَعْدُ هَذَا فِيمَا قِيلَ مِنْ أَهْلِ حَرَّان وَكَانَ فِيهِمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ اَلصَّابِئَةِ وَالْفَلَاسِفَةِ, بَقَايَا أَهْلِ دِينِ اَلنَّمْرُودِ, وَالْكَنْعَانِيِّينَ اَلَّذِينَ صَنَّفَ بَعْضُ اَلْمُتَأَخِّرِينَ فِي سِحْرِهِمْ, وَاَلنَّمْرُودُ هُوَ: مَلِكُ اَلصَّابِئَةِ اَلْكَنْعَانِيِّينَ اَلْمُشْرِكِينَ, كَمَا أَنَّ كِسْرَى مَلِكُ اَلْفُرْسِ وَالْمَجُوسِ وَفِرْعَوْن مَلِكُ اَلْقِبْطِ وَالْكُفَّارِ, وَالنَّجَاشِيّ مَلِكُ اَلْحَبَشَةِ اَلنَّصَارَى, فَهُوَ اِسْمُ جِنْسٍ لَا اِسْمُ عَلَمٍ.

كَانَتْ اَلصَّابِئَةُ إلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ إذْ ذَاكَ عَلَى اَلشِّرْكِ وَعُلَمَاؤُهُمْ اَلْفَلَاسِفَةُ, وَإِنْ كَانَ اَلصَّابِئُ قَدْ لَا يَكُونُ مُشْرِكًا, بَلْ مُؤْمِنًا بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ اَلْآخِرِ, كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (١) [اَلْبَقَرَة:٦٢] وَقَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (٢) [اَلْمَائِدَة:٦٩]. لَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ, أَوْ أَكْثَرَهُمْ كَانُوا كُفَّارًا أَوْ مُشْرِكِينَ, كَمَا أَنَّ كَثِيرًا مِنْ اَلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بَدَّلُوا وَحَرَّفُوا وَصَارُوا كُفَّارًا أَوْ مُشْرِكِينَ, فَأُولَئِكَ اَلصَّابِئُونَ اَلَّذِينَ كَانُوا إذْ ذَاكَ- كَانُوا كُفَّارًا مُشْرِكِينَ وَكَانُوا يَعْبُدُونَ اَلْكَوَاكِبَ وَيَبْنُونَ لَهَا اَلْهَيَاكِلَ.

وَمَذْهَبُ النُّفَاةِ مِنْ هَؤُلَاءِ فِي اَلرَّبِّ: أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ إلَّا صِفَاتٌ سَلْبِيَّةٌ, أَوْ إضَافِيَّةٌ أَوْ مُرَكَّبَةٌ مِنْهُمَا وَهُمْ اَلَّذِينَ بُعِثَ إبْرَاهِيمُ اَلْخَلِيلُ إلَيْهِمْ.

فَيَكُونُ اَلْجَعْدُ أَخَذَهَا عَنْ اَلصَّابِئَةِ اَلْفَلَاسِفَةِ.

وَكَذَلِكَ أَبُو نَصْرٍ اَلْفَارَابِيُّ دَخَلَ حَرَّان وَأَخَذَ عَنْ اَلْفَلَاسِفَةِ اَلصَّابِئِينَ تَمَامَ فَلْسَفَتِهِ, وَأَخَذَهَا اَلْجَهْمُ أَيْضًا- فِيمَا ذَكَرَهُ اَلْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ- لَمَّا نَاظَرَ اَلسُّمَنِيَّةَ بَعْضَ فَلَاسِفَةِ اَلْهِنْدِ- وَهُمْ اَلَّذِينَ يَجْحَدُونَ مِنْ

١ - سورة البقرة آية : ٦٢.

٢ - سورة المائدة آية : ٦٩.

اَلْعُلُومِ مَايُسَمُّونَهُ اَلْحِسِّيَّاتِ-.

فَهَذِهِ أَسَانِيدُ جَهْمٍ تَرْجِعُ إِلَى اَلْيَهُودِ وَالصَّابِئِينَ وَالْمُشْرِكِينَ, وَالْفَلَاسِفَةَ اَلضَّالِّينَ إِمَّا مِنْ اَلصَّابِئِينَ, وَإِمَّا مِنْ اَلْمُشْرِكِينَ.

ثُمَّ لَمَّا عُرِّبَتْ اَلْكُتُبُ اَلرُّومِيَّةُ فِي حُدُودِ اَلْمِائَةِ اَلثَّانِيَةِ زَادَ اَلْبَلَاءُ مَعَ مَا أَلْقَى اَلشَّيْطَانُ فِي قُلُوبِ اَلضُّلَّالِ ابْتِدَاءً, مِنْ جِنْسِ مَا أَلْقَاهُ فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ.

وَلَمَّا كَانَ فِي حُدُودِ اَلْمِائَةِ اَلثَّانِيَةِ انْتَشَرَتْ هَذِهِ اَلْمَقَالَةُ اَلَّتِي كَانَ اَلسَّلَفُ يُسَمُّونَهَا مَقَالَةَ اَلْجَهْمِيَّةِ بِسَبَبِ بِشْرِ بْنِ غِيَاثٍ اَلْمِرِّيسِيِّ وَطَبَقَتِهِ, وَكَلَامُ اَلْأَئِمَّةِ مِثْلُ: مَالِكٍ, وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ, وَابْنِ اَلْمُبَارَكِ, وَأَبِي يُوسُفَ, وَالشَّافِعِيِّ, وَأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ, وَالْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ, وَبِشْرٍ اَلْحَافِي, وَغَيْرِهِمْ, فِي هَؤُلَاءِ كَثِيرٌ, فِي ذَمِّهِمْ وَتَضْلِيلِهِمْ.

وَهَذِهِ اَلتَّأْوِيلَاتُ اَلْمَوْجُودَةُ اَلْيَوْمَ بِأَيْدِي اَلنَّاسِ مِثْلُ أَكْثَرِ اَلتَّأْوِيلَاتِ اَلَّتِي ذَكَرَهَا أَبُو بَكْرِ بْنُ فُورَكٍ فِي كِتَابِ" اَلتَّأْوِيلَاتِ" وَذَكَرَهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ اَلرَّازِيُّ فِي كِتَابِهِ اَلَّذِي أَسْمَاهُ" تَأْسِيسَ اَلتَّقْدِيسِ" وَيُوجَدُ كَثِيرٌ مِنْهَا فِي كَلَامِ خَلْقٍ غَيْرِ هَؤُلَاءِ مِثْلِ أَبِي عَلِيٍّ اَلْجُبَّائِيِّ, وعبدالجبار بْنِ أَحْمَدَ اَلْهَمْدَانِيِّ, وَأَبِي اَلْحُسَيْنِ اَلْبَصْرِيِّ, وَأَبِي اَلْوَفَاءِ بْنِ عَقِيلٍ, وَأَبِي حَامِدٍ اَلْغَزَالِيِّ, وَغَيْرِهِمْ, هِيَ بِعَيْنِهَا اَلتَّأْوِيلَاتُ اَلَّتِي ذَكَرَهَا بِشْرٌ اَلْمِرِّيسِيُّ اَلَّتِي ذَكَرَهَا فِي كِتَابِهِ, وَإِنْ كَانَ قَدْ يُوجَدُ فِي كَلَامِ بَعْضِ هَؤُلَاءِ رَدُّ اَلتَّأْوِيلِ وَلَهُمْ كَلَامٌ حَسَنٌ فِي أَشْيَاءَ.

فَإِنَّمَا بَيَّنْتُ أَنَّ عَيْنَ تَأْوِيلَاتِهِمْ هِيَ عَيْنُ تَأْوِيلَاتِ اَلْمَرِيسِيِّ, وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ كِتَابُ اَلرَّدِّ اَلَّذِي صَنَّفَهُ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ اَلدَّارِمِيُّ أَحَدُ اَلْأَئِمَّةِ اَلْمَشَاهِيرِ فِي زَمَانِ اَلْبُخَارِيِّ, صَنَّفَ كِتَابًا سَمَّاهُ:"رَدُّ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدٍ عَلَى اَلْكَاذِبِ اَلْعَنِيدِ فِيمَا افْتَرَى عَلَى اَللَّهِ فِي اَلتَّوْحِيدِ" حَكَى فِيهِ هَذِهِ اَلتَّأْوِيلَاتِ بِأَعْيَانِهَا عَنْ بِشْرٍ اَلْمَرِيسِيِّ بِكَلَامٍ يَقْتَضِي أَنَّ اَلْمِرِّيسِيَّ أَقْعَدُ بِهَا, وَأَعْلَمُ بِالْمَنْقُولِ وَالْمَعْقُولِ مِنْ هَؤُلَاءِ اَلْمُتَأَخِّرِينَ اَلَّذِينَ اتَّصَلَتْ إِلَيْهِمْ مِنْ جِهَتِهِ ثُمَّ رَدَّ ذَلِكَ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ بِكَلَامٍ إِذَا طَالَعَهُ اَلْعَاقِلُ اَلذَّكِيُّ: عَلِمَ حَقِيقَةَ مَا كَانَ عَلَيْهِ اَلسَّلَفُ, وَتَبَيَّنَ لَهُ ظُهُورُ اَلْحُجَّةِ لِطَرِيقِهِمْ, وَضَعْفُ حُجَّةِ مَنْ خَالَفَهُمْ.

ثُمَّ إذَا رَأَى اَلْأَئِمَّةَ- أَئِمَّةَ اَلْهُدَى- قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى ذَمِّ الْمرِّيسِيَّةِ وَأَكْثَرُهُمْ كَفَّرُوهُمْ أَوْ ضَلَّلُوهُمْ, وَعَلِمَ أَنَّ هَذَا اَلْقَوْلَ اَلسَّارِيَ فِي هَؤُلَاءِ اَلْمُتَأَخِّرِينَ هُوَ مَذْهَبُ الْمرِّيسِيَّةِ تَبَيَّنَ اَلْهُدَى لِمَنْ يُرِيدُ اَللَّهُ هِدَايَتَهُ وَلَاحَوْلَ وَلَاقُوَّةَ إلَّا بِاَللَّهِ.

وَالْفَتْوَى لَاتَحْتَمِلُ اَلْبَسْطَ فِي هَذَا اَلْبَابِ, وَإِنَّمَا نُشِيرُ إشَارَةً إلَى مَبَادِئِ اَلْأُمُورِ, وَالْعَاقِلُ يَسِيرُ فَيَنْظُرُ.

وَكَلَامُ اَلسَّلَفِ فِي هَذَا اَلْبَابِ مَوْجُودٌ فِي كُتُبٍ كَثِيرَةٍ لَا يُمْكِنُ أَنْ نَذْكُرَ هُنَا إلَّا قَلِيلاً مِنْهُ, مِثْلَ كِتَابِ" اَلسُّنَنِ" لِلَّالَكَائِيِّ, و"اَلْإِبَانَةِ" لِابْنِ بَطَّةَ, و"اَلسُّنَّةِ" لِأَبِي ذَرٍّ الْهَرَوِيِّ, و"اَلْأُصُولِ" لِأَبِي عُمَرَ الطَّلَمَنْكِيِّ,وَكَلَامِ أَبِي عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ, و" اَلْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ " لِلْبَيْهَقِيِّ, وَقَبْلَ ذَلِكَ اَلسُّنَّةُ" لِلطَّبَرَانِيِّ, وَلِأَبِي اَلشَّيْخِ اَلْأَصْبَهَانِيِّ وَلِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَنْدَهْ, وَلِأَبِي أَحْمَدَ اَلْعَسَّالِ اَلْأَصْبَهَانِيِّ, وَقَبْلَ ذَلِكَ" اَلسُّنَّةُ" لِلْخَلَّالِ, و "اَلتَّوْحِيدُ" لِابْنِ خُزَيْمَةَ, وَكَلَامُ أَبِي اَلْعَبَّاسِ بْنِ سُرَيْجٍ وَالرَّدُّ عَلَى اَلْجَهْمِيَّةِ لِجَمَاعَةٍ, وَقَبْلَ ذَلِكَ" اَلسُّنَّةُ" لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ و"اَلسُّنَّةُ" لِأَبِي بَكْرِ بْنِ اَلْأَثْرَمِ, و"اَلسُّنَّةُ" لِحَنْبَلٍ,وَلِلْمَرْوَذِيِّ, وَلِأَبِي دَاوُدَ اَلسِّجِسْتَانِيِّ, وَلِابْنِ أَبِي شَيْبَةَ, و" اَلسُّنَّةُ" لِأَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي عَاصِمٍ, وَكِتَابُ" اَلرَّدِّ عَلَى اَلْجَهْمِيَّةِ" لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجُعْفِيِّ شَيْخِ اَلْبُخَارِيِّ, وَكِتَابُ" خَلْقِ أَفْعَالِ اَلْعِبَادِ" لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ اَلْبُخَارِيِّ, وَكِتَابُ" اَلرَّدِّ عَلَى اَلْجَهْمِيَّةِ" لِعُثْمَانَ بْنِ سَعِيدٍ اَلدَّارِمِيِّ, وَكَلَامُ عبدالعزيز اَلْمَكِّيِّ صَاحِبِ اَلْحَيْدَةِ" فِي اَلرَّدِّ عَلَى اَلْجَهْمِيَّةِ, وَكَلَامُ نُعَيْمِ بْنِ حَمَّادٍ اَلْخُزَاعِيِّ, وَكَلَامُ اَلْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ وَيَحْيَى بْنِ يَحْيَى اَلنَّيْسَابُورِيِّ وَأَمْثَالِهِمْ, وَقَبْلَ هَؤُلَاءِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ اَلْمُبَارَكِ وَأَمْثَالُهُ, وَأَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ.

وَعِنْدَنَا مِنْ اَلدَّلَائِلِ اَلسَّمْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ مَا لاَ يَتَّسِعُ هَذَا اَلْمَوْضِعُ لِذِكْرِهِ, وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ اَلْمُتَكَلِّمِينَ لَهُمْ شُبُهَاتٌ مَوْجُودَةٌ, لَكِنْ لا يُمْكِنُ ذِكْرُهَا فِي اَلْفَتْوَى, فَمَنْ نَظَرَ فِيهَا وَأَرَادَ إبَانَةَ مَاذَكَرُوهُ مِنْ اَلشُّبَهِ فَإِنَّهُ يَسِيرٌ.

وَإِذَا كَانَ أَصْلُ هَذِهِ اَلْمَقَالَةِ-مَقَالَةِ اَلتَّعْطِيلِ وَالتَّأْوِيلِ- مَأْخُوذًا عَنْ تَلَامِذَةِ اَلْمُشْرِكِينَ, وَالصَّابِئِينَ, وَالْيَهُودِ, فَكَيْفَ تَطِيبُ نَفْسُ مُؤْمِنٍ بَلْ نَفْسُ عَاقِلٍ أَنْ يَأْخُذَ سُبُلَ هَؤُلَاءِ اَلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ, وَيَدَعَ سَبِيلَ اَلَّذِينَ أَنْعَمَ اَللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ اَلنَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

.

فَصْلٌ اَلْقَوْلُ اَلشَّامِلُ فِي جَمِيعِ هَذَا اَلْبَابِ أَنْ يُوصَفَ اَللَّهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ

ثُمَّ اَلْقَوْلُ اَلشَّامِلُ فِي جَمِيعِ هَذَا اَلْبَابِ أَنْ يُوصَفَ اَللَّهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ, أَوْ بِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ اَلسَّابِقُونَ اَلْأَوَّلُونَ لاَ يُتَجَاوَزُ اَلْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ.

قَالَ اَلْإِمَامُ أَحْمَدُ-رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُ-:" لا يُوصَفُ اَللَّهُ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ, أَوْ بِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ لَا يُتَجَاوَزُ اَلْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ".

وَمَذْهَبُ اَلسَّلَفِ أَنَّهُمْ يَصِفُونَ اَللَّهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ, وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَاتَمْثِيلٍ, وَنَعْلَمُ أَنَّ مَا وُصِفَ اَللَّهُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ حَقٌّ لَيْسَ فِيهِ لُغْزٌ وَلَا أَحَاجِي بَلْ مَعْنَاهُ يُعْرَفُ مِنْ حَيْثُ يُعْرَفُ مَقْصُودُ اَلْمُتَكَلِّمِ بِكَلَامِهِ لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ اَلْمُتَكَلِّمُ أَعْلَمَ اَلْخَلْقِ بِمَا يَقُولُ, وَأَفْصَحَ اَلْخَلْقِ فِي بَيَانِ اَلْعِلْمِ, وَأَنْصَحَ اَلْخَلْقِ فِي اَلْبَيَانِ وَالتَّعْرِيفِ وَالدَّلَالَةِ وَالْإِرْشَادِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَ ذَلِكَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لَا فِي نَفْسِهِ اَلْمُقَدَّسَةِ اَلْمَذْكُورَةِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ, وَلَا فِي أَفْعَالِهِ, فَكَمَا يُتَيَقَّنُ أَنَّ اَللَّهَ سُبْحَانَهُ لَهُ ذَاتٌ حَقِيقِيَّةٌ, وَلَهُ أَفْعَالٌ حَقِيقِيَّةٌ, فَكَذَلِكَ لَهُ صِفَاتٌ حَقِيقِيَّةٌ, وَهُوَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٍ لَا فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ, وَلَا فِي أَفْعَالِهِ, وَكُلُّ مَا أَوْجَبَ نَقْصًا أَوْ حُدُوثًا فَإِنَّ اَللَّهَ مُنَزَّهٌ عَنْهُ حَقِيقَةً, فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ مُسْتَحِقٌّ لِلْكَمَالِ اَلَّذِي لاَ غَايَةَ فَوْقَهُ, وَيَمْتَنِعُ عَلَيْهِ اَلْحُدُوثُ, لِامْتِنَاعِ اَلْعَدَمِ عَلَيْهِ, وَاسْتِلْزَامُ اَلْحُدُوثِ, سَابِقُهُ اَلْعَدَمُ, وَلِافْتِقَارِ اَلْمُحْدَثِ إِلَى مُحْدِثٍ, وَلِوُجُوبِ وُجُودِهِ بِنَفْسِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَمَذْهَبُ اَلسَّلَفِ بَيْنَ اَلتَّعْطِيلِ وَبَيْنَ اَلتَّمْثِيلِ, فَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِ اَللَّهِ بِصِفَاتِخَلْقِهِ, كَمَا لَا يُمَثِّلُونَ ذَاتَهُ بِذَاتِ خَلْقِهِ, وَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ, أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ فَيُعَطِّلُونَ أَسْمَائَهُ اَلْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ اَلْعُلَى, وَيُحَرِّفُونَ اَلْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ, وَيُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اَللَّهِ وَآيَاتِهِ.

وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ فَرِيقَيْ اَلتَّعْطِيلِ وَالتَّمْثِيلِ فَهُوَ جَامِعٌ بَيْنَ اَلتَّعْطِيلِ وَالتَّمْثِيلِ.

أَمَّا اَلْمُعَطِّلُونَ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا مِنْ أَسْمَاءِ اَللَّهِ وَصِفَاتِهِ إِلَّا مَا هُوَ اَللَّائِقُ بِالْمَخْلُوقِ, ثُمَّ شَرَعُوا فِي نَفْيِ تِلْكَ اَلْمَفْهُومَاتِ فَقَدْ جَمَعُوا بَيْنَ اَلتَّمْثِيلِ وَالتَّعْطِيلِ, مَثَّلُوا أَوَّلاً, وَعَطَّلُوا آخِرًا, وَهَذَا تَشْبِيهٌ وَتَمْثِيلٌ مِنْهُمْ

لِلْمَفْهُومِ مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ بِالْمَفْهُومِ مِنْ أَسْمَاءِ خَلْقِهِ وَصِفَاتِهِمْ, وَتَعْطِيلٌ لِمَا يَسْتَحِقُّهُ هُوَ سُبْحَانَهُ مِنْ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ اللَّائِقَةِ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فَإِنَّهُ إذَا قَالَ الْقَائِلُ: لَوْ كَانَ اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ لَلَزِمَ إمَّا أَنْ يَكُونَ أَكْبَرَ مِنْ الْعَرْشِ, أَوْ أَصْغَرَ أَوْ مُسَاوِيًا, وَكُلُّ ذَلِكَ مُحَالٌ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنْ الْكَلَامِ, فَإِنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ مِنْ كَوْنِ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ إلَّا مَا يَثْبُتُ لِأَيِّ جِسْمٍ كَانَ عَلَى أَيِّ جِسْمٍ كَانَ, وَهَذَا اللَّازِمُ تَابِعٌ لِهَذَا الْمَفْهُومِ, أَمَا اسْتِوَاءٌ يَلِيقُ بِجَلَالِ اللَّهِ وَيَخْتَصُّ بِهِ, فَلَا يَلْزَمُهُ شَيْءٌ مِنْ اللَّوَازِمِ الْبَاطِلَةِ الَّتِي يَجِبُ نَفْيُهَا.

وَصَارَ هَذَا مِثْلَ قَوْلِ الْمُمَثِّلِ: إذَا كَانَ لِلْعَالِمِ صَانِعٌ, فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ جَوْهَرًا, أَوْ عَرَضًا, وَكِلَاهُمَا مُحَالٌ: إذَا لَا يُعْقَلُ مَوْجُودٌ إلَّا هَذَانِ, أَوْ قَوْلِهِ: إذَا كَانَ مُسْتَوِيًا عَلَى الْعَرْشِ فَهُوَ مُمَاثِلٌ لِاسْتِوَاءِ الْإِنْسَانِ عَلَى السَّرِيرِ أَوْ الْفُلْكِ, إذْ لَا يُعْلَمُ الِاسْتِوَاءُ إلَّا هَكَذَا, فَإِنَّ كِلَاهُمَا مَثَّلَ وَكِلَاهُمَا عَطَّلَ حَقِيقَةَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ, وَامْتَازَ الْأَوَّلُ بِتَعْطِيلِ كُلِّ مُسَمًّى لِلِاسْتِوَاءِ الْحَقِيقِيِّ, وَامْتَازَ الثَّانِي بِإِثْبَاتِ اسْتِوَاءٍ هُوَ مِنْ خَصَائِصِ الْمَخْلُوقِينَ.

وَالْقَوْلُ الْفَاصِلُ: هُوَ مَا عَلَيْهِ الْأُمَّةُ الْوَسَطُ, مِنْ أَنَّ اللَّهَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ اسْتِوَاءً يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَيَخْتَصُّ بِهِ كَمَا أَنَّهُ مَوْصُوفٌ بِأَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ, وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ, وَأَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ وَنَحْوُ ذَلِكَ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُثْبَتَ لِلْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ خَصَائِصُ الْأَعْرَاضِ الَّتِي كَعِلْمِ الْمَخْلُوقِينَ وَقُدْرَتِهِمْ, فَكَذَلِكَ هُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَلَا يَثْبُتُ لِفَوْقِيَّتِهِ خَصَائِصُ فَوْقِيَّةِ الْمَخْلُوقِ عَلَى الْمَخْلُوقِ وَمَلْزُومَاتِهَا.

وَاعْلَمْ أَنْ لَيْسَ فِي الْعَقْلِ الصَّرِيحِ, وَلَا فِي النَّقْلِ الصَّحِيحِ مَا يُوجِبُ مُخَالَفَةَ الطَّرِيقَةِ السَّلَفِيَّةِ أَصْلاً لَكِنَّ هَذَا الْمَوْضِعَ لَا يَتَّسِعُ لِجَوَابِ عَنْ الشُّبُهَاتِ الْوَارِدَةِ عَلَى الْحَقِّ, فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ شُبْهَةٌ وَأَحَبَّ حَلَّهَا فَذَلِكَ سَهْلٌ يَسِيرٌ.

ثُمَّ الْمُخَالِفُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَسَلَفِ الْأُمَّةِ-مِنْ الْمُتَأَوِّلِينَ لِهَذَا الْبَابِ- فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ, فَإِنَّ مَنْ يُنْكِرُ الرُّؤْيَةَ, يَزْعُمُ أَنَّ الْعَقْلَ يُحِيلُهَا, وَأَنَّهُ مُضْطَرٌّ فِيهَا إلَى التَّأْوِيلِ, وَمَنْ يُحِيلُ أَنَّ لِلَّهِ عِلْمًا وَقُدْرَةً, وَأَنْ يَكُونَ كَلَامُهُ غَيْرَ مَخْلُوقٍ وَنَحْوَ ذَلِكَ يَقُولُ: إنَّ الْعَقْلَ أَحَالَ ذَلِكَ فَاضْطَرَّ إلَى التَّأْوِيلِ, بَلْ مَنْ يُنْكِرُ حَقِيقَةَ

حَشْرِ اَلْأَجْسَادِ, وَالْأَكْلَ وَالشُّرْبَ اَلْحَقِيقِيَّ فِي اَلْجَنَّةِ يَزْعُمُ أَنَّ اَلْعَقْلَ أَحَالَ ذَلِكَ وَأَنَّهُ مُضْطَرٌّ إِلَى اَلتَّأْوِيلِ, وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اَللَّهَ لَيْسَ فَوْقَ اَلْعَرْشِ: يَزْعُمُ أَنَّ اَلْعَقْلَ أَحَالَ ذَلِكَ وَأَنَّهُ مُضْطَرٌّ إِلَى اَلتَّأْوِيلِ.

وَيَكْفِيك دَلِيلٌ عَلَى فَسَادِ قَوْلِ هَؤُلَاءِ أَنْ لَيْسَ لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ قَاعِدَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ فِيمَا يُحِيلُهُ اَلْعَقْلُ, بَلْ مِنْهُمْ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ اَلْعَقْلَ جَوَّزَ أَوْ أَوْجَبَ مَا يَدَّعِي اَلْآخَرُ أَنَّ اَلْعَقْلَ أَحَالَهُ.

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ عَقْلٍ يُوزَنُ اَلْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ, فَرَضِيَ اَللَّهُ عَنْ اَلْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ حَيْثُ قَالَ:" أَوَكُلَّمَا جَاءَنَا رَجُلٌ أَجْدَلُ مِنْ رَجُلٍ تَرَكْنَا مَا جَاءَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ لِجَدَلِ هَؤُلَاءِ".

وَكُلٌّ مِنْ هَؤُلَاءِ مَخْصُومٌ بِمَا خُصِمَ بِهِ اَلْآخَرُ, وَهُوَ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: بَيَانُ أَنَّ اَلْعَقْلَ لَا يُحِيلُ ذَلِكَ.

اَلثَّانِي: أَنَّ اَلنُّصُوصَ اَلْوَارِدَةَ لَا تَحْتَمِلُ اَلتَّأْوِيلَ.

اَلثَّالِثُ: أَنَّ عَامَّةَ هَذِهِ اَلْأُمُورِ قَدْ عُلِمَ أَنَّ اَلرَّسُولَ ﷺ جَاءَ بِهَا بِالِاضْطِرَارِ, كَمَا عُلِمَ أَنَّهُ جَاءَ بِالصَّلَوَاتِ اَلْخَمْسِ, وَصَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ, فَالتَّأْوِيلُ اَلَّذِي يُحِيلُهَا عَنْ هَذَا بِمَنْزِلَةِ تَأْوِيلَاتِ اَلْقَرَامِطَةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ فِي اَلْحَجِّ وَالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَسَائِرِ مَا جَاءَتْ بِهِ اَلنُّبُوَّاتُ.

اَلرَّابِعُ: أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّ اَلْعَقْلَ اَلصَّرِيحَ يُوَافِقُ مَا جَاءَتْ بِهِ اَلنُّصُوصُ, وَإِنْ كَانَ فِي اَلنُّصُوصِ مِنْ اَلتَّفْصِيلِ مَا يَعْجَزُ اَلْعَقْلُ عَنْ دَرَكِ تَفْصِيلِهِ,وَإِنَّمَا عَقْلُهُ مُجْمَلاً إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ اَلْوُجُوهِ, عَلَى أَنَّ اَلْأَسَاطِينَ مِنْ هَؤُلَاءِ وَالْفُحُولَ مُعْتَرِفُونَ بِأَنَّ اَلْعَقْلَ لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى اَلْيَقِينِ فِي عَامَّةِ اَلْمَطَالِبِ اَلْإِلَهِيَّةِ, وَإِذَا كَانَ هَكَذَا فَالْوَاجِبُ تَلَقِّي عِلْمِ ذَلِكَ مِنْ اَلنُّبُوَّاتِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ, وَمِنْ اَلْمَعْلُومِ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنَّ اَللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْهُدَى وَدِينِ اَلْحَقِّ, لِيُظْهِرَهُ عَلَى اَلدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاَللَّهِ شَهِيدًا, وَأَنَّهُ بَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ مِنْ أُمُورِ اَلْإِيمَانِ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ اَلْآخِرِ.

وَالْإِيمَانُ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ اَلْآخِرِ يَتَضَمَّنُ اَلْإِيمَانَ بِالْمَبْدَأِ وَالْمَعَادِ, وَهُوَ اَلْإِيمَانُ بِالْخَلْقِ وَالْبَعْثِ كَمَا جَمَعَ بَيْنَهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ ﴾ [1] [اَلْبَقَرَة:٨]

١ – سورة البقرة آية : ٨.

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ (١) [لُقْمَانَ:٢٨] وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ (٢) [الرُّوم:٢٧], وَقَدْ بَيَّنَ اَللَّهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ مِنْ أَمْرِ اَلْإِيمَانِ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ اَلْآخِرِ مَا هَدَى اَللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ, وَكَشَفَ بِهِ مُرَادَهُ.

وَمَعْلُومٌ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِهِ, وَأَنْصَحُ لِلْأُمَّةِ مِنْ غَيْرِهِ, وَأَفْصَحُ مِنْ غَيْرِهِ عِبَارَةً وَبَيَانًا, بَلْ هُوَ أَعْلَمُ اَلْخَلْقِ بِذَلِكَ وَأَنْصَحُ اَلْخَلْقِ لِلْأُمَّةِ وَأَفْصَحُهُمْ, وَقَدْ اِجْتَمَعَ فِي حَقِّهِ ﷺ كَمَالُ اَلْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ اَلْمُتَكَلِّمَ وَالْفَاعِلَ إِذَا كَمُلَ عِلْمُهُ وَقُدْرَتُهُ وَإِرَادَتُهُ: كَمُلَ كَلَامُهُ وَفِعْلُهُ, وَإِنَّمَا يَدْخُلُ اَلنَّقْصُ إِمَّا مِنْ نَقْصِ عِلْمِهِ وَإِمَّا مِنْ عَجْزِهِ عَنْ بَيَانِ عِلْمِهِ, و'إِمَّا لِعَدَمِ إِرَادَتِهِ اَلْبَيَانَ.

وَالرَّسُولُ ﷺ هُوَ اَلْغَايَةُ فِي كَمَالِ اَلْعِلْمِ, وَالْغَايَةُ فِي كَمَالِ إِرَادَةِ اَلْبَلَاغِ اَلْمُبِينِ, وَالْغَايَةُ فِي اَلْقُدْرَةِ عَلَى اَلْبَلَاغِ اَلْمُبِينِ, وَمَعَ وُجُودِ اَلْقُدْرَةِ اَلتَّامَّةِ, وَالْإِرَادَةِ اَلْجَازِمَةِ: يَجِبُ وُجُودُ اَلْمَرَادِ, فَعُلِمَ قَطْعًا أَنَّ مَا بَيَّنَهُ مِنْ أَمْرِ اَلْإِيمَانِ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ اَلْآخِرِ حَصَلَ بِهِ مُرَادُهُ مِنْ اَلْبَيَانِ, وَمَا أَرَادَهُ مِنْ اَلْبَيَانِ هُوَ مُطَابِقٌ لِعِلْمِهِ, وَعِلْمُهُ بِذَلِكَ هُوَ أَكْمَلُ اَلْعُلُومِ, فَكُلُّ مَنْ ظَنَّ أَنَّ غَيْرَ اَلرَّسُولِ ﷺ أَعْلَمُ بِهَذَا مِنْهُ, أَوْ أَكْمَلُ بَيَانًا مِنْهُ, او أَحْرَصُ عَلَى هُدَى اَلْخَلْقِ مِنْهُ, فَهُوَ مِنْ اَلْمُلْحِدِينَ لَا مِنْ اَلْمُؤْمِنِينَ, وَالصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَ اَلسَّلَفِ هُمْ فِي هَذَا اَلْبَابِ عَلَى سَبِيلِ اَلِاسْتِقَامَةِ. وَأَمَّا اَلْمُنْحَرِفُونَ عَنْ طَرِيقِهِمْ فَهُمْ ثَلَاثُ طَوَائِفَ: أَهْلُ اَلتَّخْيِيلِ, وَأَهْلُ اَلتَّأْوِيلِ, وَأَهْلُ اَلتَّجْهِيلِ.

فَأَهْلُ اَلتَّخْيِيلِ هُمْ اَلْمُتَفَلْسِفَةُ وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ مِنْ مُتَكَلِّمٍ وَمُتَصَوِّفٍ, فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مَا ذَكَرَهُ اَلرَّسُولُ ﷺ مِنْ أَمْرِ اَلْإِيمَانِ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ اَلْآخِرِ إِنَّمَا هُوَ تَخْيِيلٌ لِلْحَقَائِقِ لِيَنْتَفِعَ بِهِ اَلْجُمْهُورُ, لَا أَنَّهُ بَيَّنَ بِهِ اَلْحَقَّ, وَلَا هَدَى بِهِ اَلْخَلْقَ, وَلَا أَوْضَحَ اَلْحَقَائِقَ.

ثُمَّ هُمْ عَلَى قِسْمَيْنِ: مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ اَلرَّسُولَ ﷺ لَمْ يَعْلَمْ اَلْحَقَائِقَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ, وَيَقُولُونَ:

---

١ – سورة لقمان آية : ٢٨.

٢ – سورة الروم آية : ٢٧.

إِنَّ مِنْ اَلْفَلَاسِفَةِ اَلْإِلَهِيَّةِ مَنْ عَلِمَهَا, وَكَذَلِكَ مِنْ اَلْأَشْخَاصِ اَلَّذِينَ يُسَمُّونَهُمْ أَوْلِيَاءَ مَنْ عَلِمَهَا, وَيَزْعُمُونَ أَنَّ مِنْ اَلْفَلَاسِفَةِ أَوْ اَلْأَوْلِيَاءِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ اَلْآخِرِ مِنْ اَلْمُرْسَلِينَ, وَهَذِهِ مَقَالَةُ غُلَاةِ اَلْمُلْحِدِينَ مِنْ اَلْفَلَاسِفَةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ: بَاطِنِيَّةِ اَلشِّيعَةِ, وَبَاطِنِيَّةِ اَلصُّوفِيَّةِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: بَلْ اَلرَّسُولُ عَلِمَهَا لَكِنْ لَمْ يُبَيِّنْهَا, وَإِنَّمَا تَكَلَّمَ بِمَا يُنَاقِضُهَا وَأَرَادَ مِنْ اَلْخَلْقِ فَهْمَ مَا يُنَاقِضُهَا, لِأَنَّ مَصْلَحَةَ اَلْخَلْقِ فِي هَذِهِ اَلاعْتِقَادَاتِ اَلَّتِي لَا تُطَابِقُ اَلْحَقَّ.

وَيَقُولُ هَؤُلَاءِ: يَجِبُ عَلَى اَلرَّسُولِ أَنْ يَدْعُوَ اَلنَّاسَ إِلَى اِعْتِقَادِ اَلتَّجْسِيمِ مَعَ أَنَّهُ بَاطِلٌ, وَإِلَى اِعْتِقَادِ مَعَادِ اَلْأَبْدَانِ مَعَ أَنَّهُ بَاطِلٌ, وَيُخْبِرُهُمْ بِأَنَّ أَهْلَ اَلْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ مَعَ أَنَّ ذَلِكَ بَاطِلٌ, لِأَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ دَعْوَةُ اَلْخَلْقِ إِلَّا بِهَذِهِ اَلطَّرِيقَةِ اَلَّتِي تَتَضَمَّنُ اَلْكَذِبَ لِمَصْلَحَةِ اَلْعِبَادِ, فَهَذَا قَوْلُ هَؤُلَاءِ فِي نُصُوصِ اَلْإِيمَانِ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ اَلْآخِرِ.

وَأَمَّا اَلْأَعْمَالُ فَمِنْهُمْ مَنْ يُقِرُّهَا, وَمِنْهُمْ مَنْ يُجْرِيهَا هَذَا اَلْمَجْرَى, وَيَقُولُ: إِنَّمَا يُؤْمَرُ بِهَا بَعْضُ اَلنَّاسِ دُونَ بَعْضٍ, وَيُؤْمَرُ بِهَا اَلْعَامَّةُ دُونَ اَلْخَاصَّةِ, وَهَذِهِ طَرِيقَةُ اَلْبَاطِنِيَّةِ وَالْمَلَاحِدَةِ وَالْإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَنَحْوِهِمْ.

وَأَمَّا أَهْلُ اَلتَّأْوِيلِ فَيَقُولُونَ: إِنَّ اَلنُّصُوصَ اَلْوَارِدَةَ فِي اَلصِّفَاتِ لَمْ يَقْصِدْ بِهَا اَلرَّسُولُ ﷺ أَنْ يَعْتَقِدَ اَلنَّاسُ اَلْبَاطِلَ, وَلَكِنْ قَصَدَ بِهَا مَعَانِيَ وَلَمْيُبَيِّنْ لَهُمْ تِلْكَ اَلْمَعَانِيَ, وَلَا دَلَّهُمْ عَلَيْهَا, وَلَكِنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرُوا فَيَعْرِفُوا اَلْحَقَّ بِعُقُولِهِمْ, ثُمَّ يَجْتَهِدُوا فِي صَرْفِ تِلْكَ اَلنُّصُوصِ عَنْ مَدْلُولِهَا, وَمَقْصُودُهُ اِمْتِحَانُهُمْ وَتَكْلِيفُهُمْ إِتْعَابَ أَذْهَانِهِمْ وَعُقُولِهِمْ فِي أَنْ يَصْرِفُوا كَلَامَهُ عَنْ مَدْلُولِهِ وَمُقْتَضَاهُ, وَيَعْرِفُوا اَلْحَقَّ مِنْ غَيْرِ جِهَتِهِ, وَهَذَا قَوْلُ اَلْمُتَكَلِّمَةِ اَلْجَهْمِيَّةِ, وَالْمُعْتَزِلَةِ وَمَنْ دَخَلَ مَعَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

وَالَّذِينَ قَصَدْنَا اَلرَّدَّ عَلَيْهِمْ فِي هَذِهِ اَلْفُتْيَا هُمْ هَؤُلَاءِ, إِذْ كَانَ نُفُورُ اَلنَّاسِ عَنْ اَلْأَوَّلِينَ مَشْهُورًا, بِخِلَافِ هَؤُلَاءِ فَإِنَّهُمْ تَظَاهَرُوا بِنَصْرِ اَلسُّنَّةِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ وَهُمْ فِي اَلْحَقِيقَةِ لَا لِلْإِسْلَامِ نَصَرُوا, وَلَا لِلْفَلَاسِفَةِ كَسَرُوا, وَلَكِنَّ أُولَئِكَ اَلْفَلَاسِفَةَ أَلْزَمُوهُمْ فِي نُصُوصِ اَلْمَعَادِ نَظِيرَ مَا ادَّعُوهُ فِي نُصُوصِ اَلصِّفَاتِ.

فَقَالُوا: نَحْنُ نَعْلَمُ بِالِاضْطِرَارِ أَنَّ اَلرُّسُلَ جَاءَتْ بِمَعَادِ اَلْأَبْدَانِ, وَقَدْ عَلِمْنَا اَلشُّبَهَ اَلْمَانِعَةَ مِنْهُ.

وَأَهْلُ اَلسُّنَّةِ يَقُولُونَ لِهَؤُلَاءِ: وَنَحْنُ نَعْلَمُ بِالِاضْطِرَارِ أَنَّ اَلرُّسُلَ جَاءَتْ بِإِثْبَاتِ اَلصِّفَاتِ, وَنُصُوصُ

اَلصِّفَاتِ فِي اَلْكُتُبِ اَلْإِلَهِيَّةِ أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ مِنْ نُصُوصِ اَلْمَعَادِ وَيَقُولُونَ لَهُمْ: مَعْلُومٌ أَنَّ مُشْرِكِي اَلْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ كَانُوا يُنْكِرُونَ اَلْمَعَادَ, وَقَدْ أَنْكَرُوهُ عَلَى اَلرَّسُولِ وَنَاظَرُوهُ عَلَيْهِ, بِخِلَافِ اَلصِّفَاتِ فَإِنَّهُ لَمْ يُنْكِرْ شَيْئًا مِنْهَا أَحَدٌ مِنْ اَلْعَرَبِ.فَعُلِمَ أَنَّ إِقْرَارَ اَلْعُقُولِ بِالصِّفَاتِ أَعْظَمُ مِنْ إِقْرَارِهَا بِالْمَعَادِ, وَأَنَّ إِنْكَارَ اَلْمَعَادِ أَعْظَمُ مِنْ إِنْكَارِ اَلصِّفَاتِ, وَكَيْفَ يَجُوزُ مَعَ هَذَا أَنْ يَكُونَ مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنْ اَلصِّفَاتِ لَيْسَ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ, وَمَا أَخْبَرَ بِهِ مِنْ اَلْمَعَادِ هُوَ عَلَى مَا أَخْبَرَ بِهِ.

وَأَيْضًا: فَقَدْ عُلِمَ أَنَّهُ ﷺ قَدْ ذَمَّ أَهْلَ اَلْكِتَابِ عَلَى مَا حَرَّفُوهُ وَبَدَّلُوهُ, وَمَعْلُومٌ أَنَّ اَلتَّوْرَاةَ مَمْلُوءَةٌ مِنْ ذِكْرِ اَلصِّفَاتِ, فَلَوْ كَانَ هَذَا مِمَّا حُرِّفَ وَبُدِّلَ لَكَانَ إِنْكَارُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ أَوْلَى, فَكَيْفَ وَكَانُوا إِذَا ذَكَرُوا بَيْنَ يَدَيْهِ اَلصِّفَاتِ يَضْحَكُ تَعَجُّبًا مِنْهُمْ وَتَصْدِيقًا وَلَمْ يَعِبْهُمْ قَطُّ بِمَا تَعِيبُ النُّفَاةُ لِأَهْلِ اَلْإِثْبَاتِ, مِثْلُ اَللَّفْظِ اَلتَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ, بَلْ عَابَهُمْ بِقَوْلِهِمْ: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ (1) [اَلْمَائِدَة:٦٤], وَقَوْلِهِمْ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾ (2) [آل عِمْرَانَ:١٨١] وَقَوْلِهِمْ: اِسْتَرَاحَ لَمَّا خَلَقَ اَلسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ (3) [ق:٣٨].

وَالتَّوْرَاةُ مَمْلُوءَةٌ مِنْ اَلصِّفَاتِ اَلْمُطَابِقَةِ لِلصِّفَاتِ اَلْمَذْكُورَةِ فِي اَلْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَلَيْسَ فِيهَا بِالْمَعَادِ كَمَا فِي اَلْقُرْآنِ. فَإِذَا جَازَ أَنْ نَتَأَوَّلَ اَلصِّفَاتِ اَلَّتِي اِتَّفَقَ عَلَيْهَا اَلْكِتَابَانِ فَتَأَوُّلُ اَلْمَعَادِ اَلَّذِي اِنْفَرَدَ بِهِ أَحَدُهُمَا أَوْلَى, وَالثَّانِي مِمَّا يُعْلَمُ بِالْإِضْرَارِ مِنْ دِينِ اَلرَّسُولِ ﷺ أَنَّهُ بَاطِلٌ, اَلْأَوَّلُ أَوْلَى بِالْبُطْلَانِ.

وَأَمَّا اَلصِّنْفُ اَلثَّالِثُ: وَهُمْ أَهْلُ اَلتَّجْهِيلِ فَهُمْ كَثِيرٌ مِنْ اَلْمُنْتَسِبِينَ إِلَى اَلسُّنَّةِ وَاتِّبَاعِ اَلسَّلَفِ, يَقُولُونَ: إِنَّ اَلرَّسُولَ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ مَعَانِيَ مَا أَنْزَلَ اَللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ آيَاتِ اَلصِّفَاتِ وَلَا جِبْرِيلُ يَعْرِفُ مَعَانِيَ تِلْكَ اَلْآيَاتِ, وَلَا اَلسَّابِقُونَ اَلْأَوَّلُونَ عَرَفُوا ذَلِكَ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ فِي أَحَادِيثَ اَلصِّفَاتِ: إِنَّ مَعْنَاهَا لاَ يَعْلَمُهُ إِلَّا اَللَّهُ, مَعَ أَنَّ اَلرَّسُولَ تَكَلَّمَ بِهَذَا اِبْتِدَاءً,

---

١ - سورة المائدة آية : ٦٤.

٢ - سورة آل عمران آية : ١٨١.

٣ - سورة ق آية : ٣٨.

فَعَلَى قَوْلِهِمْ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ لَا يَعْرِفُ مَعْنَاهُ.

وَهَؤُلَاءِ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ اتَّبَعُوا قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (١) [آل عِمْرَانَ:٧] فَإِنَّهُ وَقَفَ كَثِيرٌ مِنْ اَلسَّلَفِ عَلَى قَوْلِهِ ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (٢) وَهُوَ وَقْفٌ صَحِيحٌ, لَكِنْ لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ مَعْنَى اَلْكَلَامِ وَتَفْسِيرِهِ, وَبَيْنَ اَلتَّأْوِيلِ اَلَّذِي اِنْفَرَدَ اَللَّهُ تَعَالَى بِعِلْمِهِ وَظَنُّوا أَنَّ اَلتَّأْوِيلَ اَلْمَذْكُورَ فِي كَلَامِ اَللَّهِ هُوَ اَلتَّأْوِيلُ اَلْمَذْكُورُ فِي كَلَامِ اَلْمُتَأَخِّرِينَ, وَغَلِطُوا فِي ذَلِكَ.

فَإِنَّ اَلتَّأْوِيلَ يُرَادُ بِهِ ثَلَاثُ مَعَانٍ.

فَالتَّأْوِيلُ فِي اِصْطِلَاحِ كَثِيرٍ مِنْ اَلْمُتَأَخِّرِينَ هُوَ : صَرْفُ اَللَّفْظِ عَنْ اَلِاحْتِمَالِ اَلرَّاجِحِ إلَى اَلِاحْتِمَالِ اَلْمَرْجُوحِ لِدَلِيلٍ يَقْتَرِنُ بِذَلِكَ.

فَلَا يَكُونُ مَعْنَى اَللَّفْظِ اَلْمُوَافِقِ لِدَلَالَةِ ظَاهِرِهِ تَأْوِيلاً عَلَى اِصْطِلَاحِ هَؤُلَاءِ, وَظَنُّوا أَنَّ مُرَادَ اَللَّهِ بِلَفْظِ اَلتَّأْوِيلِ ذَلِكَ, وَأَنَّ لِلنُّصُوصِ تَأْوِيلاً مُخَالِفًا, لِمَدْلُولِهَا لاَ يَعْلَمُهُ إلَّا اَللَّهُ, أَوْ يَعْلَمُهُ اَلْمُتَأَوِّلُونَ.

ثُمَّ كَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: تُجْرَى عَلَى ظَاهِرِهَا, فَظَاهِرُهَا مُرَادٌ. مَعَ قَوْلِهِمْ: إنَّ لَهَا تَأْوِيلاً بِهَذَا اَلْمَعْنَى لَا يَعْلَمُهُ إلَّا اَللَّهُ. وَهَذَا تَنَاقُضٌ وَقَعَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ اَلْمُنْتَسِبِينَ إلَى اَلسُّنَّةِ مِنْ أَصْحَابِ اَلْأَئِمَّةِ اَلْأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ.

وَالْمَعْنَى اَلثَّانِي: أَنَّ اَلتَّأْوِيلَ هُوَ تَفْسِيرُ اَلْكَلَامِ, سَوَاءٌ وَافَقَ ظَاهِرَهُ أَوْ لَمْ يُوَافِقْهُ, وَهَذَا هُوَ اَلتَّأْوِيلُ فِي اِصْطِلَاحِ جُمْهُورِ اَلْمُفَسِّرِينَ وَغَيْرِهِمْ وَهَذَا اَلتَّأْوِيلُ يَعْلَمُهُ اَلرَّاسِخُونَ فِي اَلْعِلْمِ, وَهُوَ مُوَافِقٌ لِوَقْفِ مَنْ وَقَفَ مِنْ اَلسَّلَفِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ (٣).

كَمَا نُقِلَ لَكَ عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ اَلزُّبَيْرِ, وَمُحَمَّدِ بْنِ إسْحَاقَ, وَابْنِ قُتَيْبَةَ وَغَيْرِهِمْ.

---

١ – سورة آل عمران آية : ٧.

٢ – سورة آل عمران آية : ٧.

٣ – سورة آل عمران آية : ٧.

وَكِلَا اَلْقَوْلَيْنِ حَقٌّ بِاعْتِبَارٍ, كَمَا قَدْ بَسَطْنَاهُ فِي مَوَاضِعَ أُخْرَى وَلِهَذَا نُقِلَ عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ هَذَا وَهَذَا وَكِلَاهُمَا حَقٌّ.

وَالْمَعْنَى اَلثَّالِثُ: أَنَّ اَلتَّأْوِيلَ : هُوَ اَلْحَقِيقَةُ اَلَّتِي يُؤَوَّلُ إِلَيْهَا, وَإِنْ وَافَقَتْ ظَاهِرَهُ, فَتَأْوِيلُ مَا أَخْبَرَ بِهِ فِي اَلْجَنَّةِ مِنْ اَلْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَاللِّبَاسِ وَالنِّكَاحِ وَقِيَامِ اَلسَّاعَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ, هُوَ اَلْحَقَائِقُ اَلْمَوْجُودَةُ أَنْفُسُهَا لاَ مَا يُتَصَوَّرُ مِنْ مَعَانِيهَا فِي اَلْأَذْهَانِ, وَيُعَبَّرُ عَنْهُ بِاللِّسَانِ, وَهَذَا هُوَ اَلتَّأْوِيلُ فِي لُغَةِ اَلْقُرْآنِ كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ اَلسَّلَامُ إِنَّهُ قَالَ ﴿ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ ﴾ [1] [يُوسُفَ:١٠٠] وَقَالَ تَعَالَى ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [2] [اَلْأَعْرَافِ:٥٣] وَقَالَ تَعَالَى ﴿ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [3] [اَلنِّسَاءِ: ٥٩].

وَهَذَا اَلتَّأْوِيلُ هُوَ اَلَّذِي لاَ يَعْلَمُهُ إِلَّا اَللَّهُ.

فَتَأْوِيلُ اَلصِّفَاتِ هُوَ اَلْحَقِيقَةُ اَلَّتِي اِنْفَرَدَ اَللَّهُ بِعِلْمِهَا, وَهُوَ اَلْكَيْفُ اَلْمَجْهُولُ اَلَّذِي قَالَ فِيهِ اَلسَّلَفُ كَمَالِكٍ وَغَيْرِهِ:" اَلاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ, وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ" فَالاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ يَعْلَمُ مَعْنَاهُ وَتَفْسِيرَهُ وَيُتَرْجَمُ بِلُغَةٍ أُخْرَى, وَأَمَّا كَيْفِيَّةُ ذَلِكَ اَلاسْتِوَاءِ فَهُوَ اَلتَّأْوِيلُ اَلَّذِي لاَ يَعْلَمُهُ إِلَّا اَللَّهُ تَعَالَى.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ- رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا- مَا ذَكَرَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَغَيْرُهُ فِي تَفْسِيرِهِمْ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ(تَفْسِيرُ اَلْقُرْآنِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ تَفْسِيرٌ تَعْرِفُهُ اَلْعَرَبُ مِنْ كَلَامِهَا, وَتَفْسِيرٌ لَايُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ, وَتَفْسِيرٌ يَعْلَمُهُ اَلْعُلَمَاءُ, وَتَفْسِيرٌ لَايَعْلَمُهُ إِلَّا اَللَّهُ ﷻ مَنْ اِدَّعَى عِلْمَهُ فَهُوَ كَاذِبٌ".

وَهَذَا كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [4]

---

١ - سورة يوسف آية : ١٠٠.

٢ - سورة الأعراف آية : ٥٣.

٣ - سورة النساء آية : ٥٩.

٤ - سورة السجدة آية : ١٧.

[اَلسَّجْدَة:١٧] وَقَالَ اَلنَّبِيُّ ﷺ ﴿ **يَقُولُ اَللَّهُ أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ اَلصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ, وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ, وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ** ﴾ [1] وَكَذَلِكَ عِلْمُ اَلسَّاعَةِ وَنَحْوُ ذَلِكَ, فَهَذَا مِنْ اَلتَّأْوِيلِ اَلَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اَللَّهُ, وَإِنْ كُنَّا نَفْهَمُ مَعَانِيَ مَا خُوطِبْنَا بِهِنَّ وَنَفْهَمُ مِنْ اَلْكَلَامِ مَا قُصِدَ إِفْهَامُنَا إِيَّاهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [2] [مُحَمَّدٍ: ٢٤] وَقَالَ تَعَالَى ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ ﴾ [3] [اَلْمُؤْمِنُونَ: ٦٨] فَأَمَرَ بِتَدَبُّرِ اَلْقُرْآنِ كُلِّهِ لاَ بِتَدَبُّرِ بَعْضِهِ.

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ اَلسُّلَمِيُّ: حَدَّثَنَا اَلَّذِينَ كَانُوا يُقْرِئُونَنَا اَلْقُرْآنَ – عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ, وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ, وَغَيْرُهُمَا – أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا مِنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يَتَجَاوَزُوهَا حَتَّى يَتَعَلَّمُوا مَا فِيهَا مِنْ اَلْعِلْمِ وَالْعَمَلِ, قَالُوا: فَتَعَلَّمْنَا اَلْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: عَرَضْتُ اَلْمُصْحَفَ عَلَى اِبْنِ عَبَّاسٍ– رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا– مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ, أَقِفُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ أَسْأَلُهُ عَنْهَا.

وَقَالَ اَلشَّعْبِيُّ: مَا اِبْتَدَعَ أَحَدٌ بِدْعَةً إِلَّا وَفِي كِتَابِ اَللَّهِ بَيَانُهَا.

وَقَالَ مَسْرُوقٌ مَا سُئِلَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَعِلْمُهُ فِي اَلْقُرْآنِ, وَلَكِنَّ عِلْمَنَا قَصُرَ عَنْهُ.

وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ قَدْ بُسِطَ فِي مَوْضِعِهِ.

وَالْمَقْصُودُ هُنَا اَلتَّنْبِيهُ عَلَى أُصُولِ اَلْمَقَالَاتِ اَلْفَاسِدَةِ اَلَّتِي أَوْجَبَتْ اَلضَّلَالَ فِي بَابِ اَلْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ بِمَا جَاءَ بِهِ اَلرَّسُولُ ﷺ وَأَنَّ مَنْ جَعَلَ اَلرَّسُولَ غَيْرَ عَالِمٍ بِمَعَانِي اَلْقُرْآنِ اَلَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْهِ, وَلَا جِبْرِيلُ جَعَلَهُ غَيْرَ عَالِمٍ بِالسَّمْعِيَّاتِ لَمْ يَجْعَلْ اَلْقُرْآنَ هُدًى وَلَا بَيَانًا لِلنَّاسِ.

ثُمَّ هَؤُلَاءِ يُنْكِرُونَ اَلْعَقْلِيَّاتِ فِي هَذَا اَلْبَابِ بِالْكُلِّيَّةِ, فَلَا يَجْعَلُونَ عِنْدَ اَلرَّسُولِ ﷺ وَأُمَّتِهِ فِي بَابِ

---

١ – البخاري : تفسير القرآن (٤٧٨٠) , ومسلم : الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٢٤) , والترمذي : تفسير القرآن (٣١٩٧) , وابن ماجه : الزهد (٤٣٢٨) , وأحمد (٢/٣١٣) , والدارمي : الرقاق (٢٨٢٨).

٢ – سورة محمد آية : ٢٤.

٣ – سورة المؤمنون آية : ٦٨.

مَعْرِفَةِ اَللَّهِ ﷻ لاَ عُلُومًا عَقْلِيَّةً وَلَا سَمْعِيَّةً, وَهُمْ قَدْ شَارَكُوا فِي هَذَا اَلْمَلَاحِدَةَ مِنْ وُجُوهٍ مُتَعَدِّدَةٍ, وَهُمْ مُخْطِئُونَ فِيمَا نَسَبُوهُ إِلَى اَلرَّسُولِ ﷺ وَإِلَى اَلسَّلَفِ مِنْ اَلْجَهْلِ, كَمَا أَخْطَأَ فِي ذَلِكَ أَهْلُ اَلتَّحْرِيفِ وَالتَّأْوِيلَاتِ اَلْفَاسِدَةِ, وَسَائِرُ أَصْنَافِ اَلْمَلَاحِدَةِ.

وَنَحْنُ نَذْكُرُ مِنْ أَلْفَاظِ اَلسَّلَفِ بِأَعْيَانِهَا, وَأَلْفَاظِ مَنْ نَقَلَ مَذْهَبَهُمْ, بِحَسَبِ مَا يَحْتَمِلُهُ هَذَا اَلْمَوْضِعُ مَا يُعْلَمُ بِهِ مَذْهَبُهُمْ.

رَوَى أَبُو بَكْرٍ اَلْبَيْهَقِيُّ فِي اَلْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ اَلْأَوْزَاعِيِّ قَالَ(كُنَّا وَالتَّابِعُونَ مُتَوَافِرُونَ نَقُولُ: إِنَّ اَللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ فَوْقَ عَرْشِهِ وَنُؤْمِنُ بِمَا وَرَدَتْ بِهِ اَلسُّنَّةُ مِنْ صِفَاتِهِ).

فَقَدْ حَكَى اَلْأَوْزَاعِيُّ- وَهُوَ أَحَدُ اَلْأَئِمَّةِ اَلْأَرْبَعَةِ فِي عَصْرِ تَابِعِي اَلتَّابِعِينَ اَلَّذِينَ هُمْ: مَالِكٌ, إِمَامُ أَهْلِ اَلْحِجَازِ, وَالْأَوْزَاعِيُّ إِمَامُ أَهْلِ اَلشَّامِ, وَاللَّيْثُ إِمَامُ أَهْلِ مِصْرَ, وَالثَّوْرِيُّ إِمَامُ أَهْلِ اَلْعِرَاقِ حَكَى شُهْرَةَ اَلْقَوْلِ فِي زَمَنِ اَلتَّابِعِينَ بِالْإِيمَانِ بِأَنَّ اَللَّهَ فَوْقَ اَلْعَرْشِ, وَبِصِفَاتِهِ اَلسَّمْعِيَّةِ.

وَرَوَى أَبُو بَكْرٍ اَلْخَلَّالُ فِي "كِتَابِ اَلسُّنَّةِ" عَنْ اَلْأَوْزَاعِيِّ قَالَ : " سُئِلَ مَكْحُولٌ وَالزُّهْرِيُّ عَنْ تَفْسِيرِ اَلْأَحَادِيثِ فَقَالَ : أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ".

وَرَوَى أَيْضًا عَنْ اَلْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: "سَأَلْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ, وَسُفْيَانَ اَلثَّوْرِيَّ, وَاللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ, وَالْأَوْزَاعِيَّ عَنْ اَلْأَخْبَارِ اَلَّتِي جَاءَتْ فِي اَلصِّفَاتِ فَقَالُوا: أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ. وَفِي رِوَايَةٍ : فَقَالُوا: أَمِرَّهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْفٍ".

فَقَوْلُهُمْ-رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمْ- "أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ" رَدٌّ عَلَى اَلْمُعَطِّلَةِ, وَقَوْلُهُمْ "بِلَا كَيْفٍ", رَدٌّ عَلَى اَلْمُمَثِّلَةِ,وَالزُّهْرِيُّ وَمَكْحُولٌ هُمَا أَعْلَمُ اَلتَّابِعِينَ فِي زَمَانِهِمْ وَالْأَرْبَعَةُ اَلْبَاقُونَ هُمْ أَئِمَّةُ اَلدُّنْيَا فِي عَصْرِ تَابِعِي اَلتَّابِعِينَ.

وَإِنَّمَا قَالَ اَلْأَوْزَاعِيُّ هَذَا بَعْدَ ظُهُورِ أَمْرِ جَهْمٍ اَلْمُنْكِرِ لِكَوْنِ اَللَّهِ فَوْقَ عَرْشِهِ, وَالنَّافِي لِصِفَاتِهِ, لِيَعْرِفَ اَلنَّاسُ أَنَّ مَذْهَبَ اَلسَّلَفِ كَانَ خِلَافَ ذَلِكَ.

وَمِنْ طَبَقَتِهِمْ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ, وَحَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ, وَأَمْثَالُهُمَا.

رَوَى أَبُو اَلْقَاسِمِ اَلزَّجِّيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ إِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ مَنْ يَدْفَعُ أَحَادِيثَ اَلصِّفَاتِ يَقُولُ: قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: " سَنَّ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ وَوُلَاةُ اَلْأَمْرِ بَعْدَهُ سُنَنًا. اَلْأَخْذُ بِهَا تَصْدِيقٌ لِكِتَابِ اَللَّهِ, وَاسْتِكْمَالٌ لِطَاعَةِ اَللَّهِ, وَقُوَّةٌ عَلَى دِينِ اَللَّهِ, لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اَللَّهِ تَغْيِيرُهَا وَلَا اَلنَّظَرُ فِي شَيْءٍ خَالَفَهَا, مَنْ اهْتَدَى بِهَا فَهُوَ مُهْتَدٍ, وَمَنْ اِسْتَنْصَرَ بِهَا فَهُوَ مَنْصُورٌ, وَمَنْ خَالَفَهَا وَاتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ اَلْمُؤْمِنِينَ, وَلَّاهُ اَللَّهُ مَا تَوَلَّى وَأَصْلَاهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا".

وَرَوَى اَلْخَلَّالُ بِإِسْنَادٍ كُلُّهُمْ أَئِمَّةٌ ثِقَاتٌ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ : " سُئِلَ رَبِيعَةُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [1] [طه:٥] قَالَ: " اَلِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ, وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ, وَمِنْ اَللَّهِ اَلرِّسَالَةُ وَعَلَى اَلرَّسُولِ اَلْبَلَاغُ اَلْمُبِينُ, وَعَلَيْنَا اَلتَّصْدِيقُ".

وَهَذَا اَلْكَلَامُ مَرْوِيٌّ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ تِلْمِيذِ رَبِيعَةَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ.

مِنْهَا: مَا رَوَاهُ أَبُو اَلشَّيْخِ اَلْأَصْبَهَانِيُّ, وَأَبُو بَكْرٍ اَلْبَيْهَقِيُّ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى قَالَ : كُنَّا عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ, فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [2] كَيْفَ اِسْتَوَى فَأَطْرَقَ مَالِكٌ بِرَأْسِهِ حَتَّى عَلَاهُ اَلرُّحَضَاءُ, ثُمَّ قَالَ: اَلِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ, وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ, وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ, وَمَا أَرَاكَ إِلَّا مُبْتَدِعًا, فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يَخْرُجَ. اهـــ.

فَقَوْلُ رَبِيعَةَ وَمَالِكٍ: "اَلِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ", مُوَافِقٌ لِقَوْلِ اَلْبَاقِينَ: " أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْفٍ",فَإِنَّمَا نَفَوْا عِلْمَ اَلْكَيْفِيَّةِ, وَلَمْ يَنْفُوا حَقِيقَةَ اَلصِّفَةِ.

وَلَوْ كَانَ اَلْقَوْمُ قَدْ آمَنُوا بِاللَّفْظِ اَلْمُجَرَّدِ مِنْ غَيْرِ فَهْمٍ لِمَعْنَاهُ عَلَى مَا يَلِيقُ بِاَللَّهِ لَمَا قَالُوا: " اَلِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ" , وَلَمَا قَالُوا:" أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْفٍ " فَإِنَّ اَلِاسْتِوَاءَ حِينَئِذٍ لَا يَكُونُ مَعْلُومًا بَلْ مَجْهُولاً بِمَنْزِلَةِ حُرُوفِ اَلْمُعْجَمِ.

وَأَيْضًا فَإِنَّهُ لَا يُحْتَاجُ إِلَى نَفْيِ عِلْمِ اَلْكَيْفِيَّةِ, إِذَا لَمْ يُفْهَمْ مِنْ اَللَّفْظِ مَعْنًى, وَإِنَّمَا يُحْتَاجُ إِلَى نَفْيِ عِلْمِ

---

١ – سورة طه آية : ٥.

٢ – سورة طه آية : ٥.

اَلْكَيْفِيَّةِ إِذَا أُثْبِتَتْ اَلصِّفَاتُ.

وَأَيْضًا: فَإِنَّ مَنْ يَنْفِي اَلصِّفَاتِ اَلْخَبَرِيَّةَ, أَوْ اَلصِّفَاتِ مُطْلَقًا لاَ يَحْتَاجُ أَنْ يَقُولَ: بِلَا كَيْفٍ, فَمَنْ قَالَ : إِنَّ اَللَّهَ سُبْحَانَهُ لَيْسَ عَلَى اَلْعَرْشِ, لَا يَحْتَاجُ أَنْ يَقُولَ: بِلَا كَيْفٍ, فَلَوْ كَانَ مِنْ مَذْهَبِ اَلسَّلَفِ نَفْيُ اَلصِّفَاتِ فِي نَفْسِ اَلْأَمْرِ لَمَا قَالُوا: بِلَا كَيْفٍ.

وَأَيْضًا: فَقَوْلُهُمْ : أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ. يَقْتَضِي إِبْقَاءَ دَلَالَتِهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ, فَإِنَّهَا جَاءَتْ أَلْفَاظًا دَالَّةً عَلَى مَعَانٍ, فَلَوْ كَانَتْ دَلَالَتُهَا مُنْتَفِيَةً لَكَانَ اَلْوَاجِبُ أَنْ يُقَالَ : أَمِرُّوا أَلْفَاظَهَا مَعَ اِعْتِقَادِ أَنَّ اَلْمَفْهُومَ مِنْهَا غَيْرُ مُرَادٍ, أَوْ أَمِرُّوا أَلْفَاظَهَا مَعَ اِعْتِقَادِ أَنَّ اَللَّهَ لاَ يُوصَفُ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ حَقِيقَةً, وَحِينَئِذٍ فَلَا تَكُونُ قَدْ أُمِرَّتْ كَمَا جَاءَتْ, وَلَا يُقَالُ حِينَئِذٍ بِلَا كَيْفٍ, إِذْ نَفْيُ اَلْكَيْفِيَّةِ عَمَّا لَيْسَ بِثَابِتٍ لَغْوٌ مِنْ اَلْقَوْلِ.

وَرَوَى اَلْأَثْرَمُ فِي اَلسُّنَّةِ, وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ بَطَّةَ فِي اَلْإِبَانَةِ, وَأَبُو عُمَرَ الطَّلَمَنْكِيُّ وَغَيْرُهُمْ, بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ الْمَاجِشُونِ- وَهُوَ أَحَدُ أَئِمَّةِ اَلْمَدِينَةِ اَلثَّلَاثَةِ اَلَّذِينَ هُمْ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ, وَابْنُ الْمَاجِشُونِ, وَابْنُ أَبِي ذِئْبٍ- وَقَدْ سُئِلَ فِيمَا جَحَدَتْ بِهِ اَلْجَهْمِيَّةُ: " أَمَّا بَعْدُ : فَقَدْ فَهِمْتُ مَا سَأَلْتَ عَنْهُ فِيمَا تَتَابَعَتْ اَلْجَهْمِيَّةُ وَمَنْ خَالَفَهَا,فِي صِفَةِ اَلرَّبِّ اَلْعَظِيمِ اَلَّذِي فَاقَتْ عَظَمَتُهُ اَلْوَصْفَ وَالتَّقْدِيرَ وَكَلَّتْ اَلْأَلْسُنُ عَنْ تَفْسِيرِ صِفَتِهِ, وَانْحَصَرَتْ اَلْعُقُولُ دُونَ مَعْرِفَةِ قُدْرَتِهِ, وَرَدَّتْ عَظَمَتُهُ اَلْعُقُولَ فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغًا فَرَجَعَتْ خَاسِئَةً وَهِيَ حَسِيرَةٌ, وَإِنَّمَا أُمِرُوا بِالنَّظَرِ وَالتَّفَكُّرِ فِيمَا خُلِقَ بِالتَّقْدِيرِ, وَإِنَّمَا يُقَالُ "كَيْفَ" لِمَنْ لَمْ يَكُنْ ثُمَّ كَانَ, فَأَمَّا اَلَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ, وَلَمْ يَزَلْ, وَلَيْسَ لَهُ مِثْلٌ, فَإِنَّهُ لا يَعْلَمُ كَيْفَ هُوَ إِلَّا هُوَ, وَكَيْفَ يُعْرَفُ قَدْرُ مَنْ لَمْ يَبْدَأْ وَمَنْ لَمْ يَمُتْ, وَلَا يَبْلَى وَكَيْفَ يَكُونُ لِصِفَةِ شَيْءٍ مِنْهُ حَدٌّ أَوْ مُنْتَهَى, يَعْرِفُهُ عَارِفٌ أَوْ يَحُدُّ قَدْرَهُ وَاصِفٌ عَلَى أَنَّهُ اَلْحَقُّ اَلْمُبِينُ لَا حَقَّ أَحَقَّ مِنْهُ, وَلَا شَيْءَ أَبْيَنَ مِنْهُ. اَلدَّلِيلُ عَلَى عَجْزِ اَلْعُقُولِ عَنْ تَحْقِيقِ صِفَتِهِ عَجْزُهَا عَنْ تَحْقِيقِ صِفَةِ أَصْغَرِ خَلْقِهِ, لاَ تَكَادُ تَرَاهُ صِغَرًا يَحُولُ وَيَزُولُ, وَلَا يُرَى لَهُ سَمْعٌ وَلَا بَصَرٌ, لَمَا يَتَقَلَّبُ بِهِ وَيَحْتَالُ مِنْ عَقْلِهِ أَعْضَلُ بِكَ وَأَخْفَى عَلَيْكَ مِمَّا ظَهَرَ مِنْ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ فَتَبَارَكَ اَللَّهُ أَحْسَنُ اَلْخَالِقِينَ وَخَالِقُهُمْ وَسَيِّدُ اَلسَّادَاتِ, وَرَبُّهُمْ ﴿ لَيْسَ

كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [1] [الشُّورَى:١١].

اعْرِفْ-رَحِمَكَ اَللَّهُ- غِنَاكَ عَنْ تَكَلُّفِ صِفَةِ مَا لَمْ يَصِفْ اَلرَّبُّ مِنْ نَفْسِهِ بِعَجْزِك عَنْ مَعْرِفَةِ قَدْرِ مَا وُصِفَ مِنْهَا, إذَا لَمْ تَعْرِفْ قَدْرَ مَا وُصِفَ فَمَا تَكَلُّفُكَ عِلْمَ مَا لَمْ يَصِفْ, هَلْ تَسْتَدِلُّ بِذَلِكَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ طَاعَتِهِ أَوْ تَنْزَجِرُ بِهِ عَنْ شَيْءٍ مِنْ مَعْصِيَتِهِ.

فَأَمَّا اَلَّذِي جَحَدَ مَا وَصَفَ اَلرَّبُّ مِنْ نَفْسِهِ تَعَمُّقًا وَتَكَلُّفًا فَقَدْ ﴿ ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ ﴾ [2] [اَلْأَنْعَامُ:٧١] فَصَارَ يَسْتَدِلُّ بِزَعْمِهِ عَلَى جَحْدِ مَا وَصَفَ اَلرَّبُّ وَسَمَّى مِنْ نَفْسِهِ بِأَنْ قَالَ: لَا بُدَّ مَنْ كَانَ لَهُ كَذَا مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ كَذَا فَعَمِيَ عَنْ اَلْبَيِّنِ بِالْخَفِيِّ, وَجَحَدَ مَا سَمَّى اَلرَّبُّ مِنْ نَفْسِهِ بِصَمْتِ اَلرَّبِّ عَمَّا لَمْ يُسَمَّ مِنْهَا, فَلَمْ يَزَلْ يُمْلِي لَهُ اَلشَّيْطَانُ حَتَّى جَحَدَ قَوْلَ اَلرَّبِّ-عَزَّ وَجَلَّ- ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [3] [اَلْقِيَامَةُ: ٢٢-٢٣] فَقَالَ: لَا يَرَاهُ أَحَدٌ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ, فَجَحَدَ - وَاَللَّهِ - أَفْضَلَ كَرَامَةِ اَللَّهِ اَلَّتِي أَكْرَمَ بِهَا أَوْلِيَاءَهُ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ مِنْ اَلنَّظَرِ إلَى وَجْهِهِ, وَنَظْرَتَهُ إيَّاهُمْ ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [4] [اَلْقَمَر : ٥٥]. وَقَدْ قَضَى أَنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فَهُمْ بِالنَّظَرِ إلَيْهِ يَنْضُرُونَ. إلَى أَنْ قَالَ : وَإِنَّمَا جَحَدَ رُؤْيَةَ اَللَّهِ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ إقَامَةً لِلْحُجَّةِ اَلضَّالَّةِ اَلْمُضِلَّةِ لِأَنَّهُ قَدْ عَرَفَ إذَا تَجَلَّى لَهُمْ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ رَأَوْا مِنْهُ مَا كَانُوا بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ مُؤْمِنِينَ وَكَانَ لَهُ جَاحِدًا.

وَقَالَ اَلْمُسْلِمُونَ : ﴿ **يَا رَسُولَ اَللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اَلشَّمْسِ دُونَهَا سَحَابٌ قَالُوا: لَا. قَالَ : فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اَلْقَمَرِ لَيْلَةَ اَلْبَدْرِ دُونَهُ سَحَابٌ قَالُوا : لَا. قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَذَلِكَ** ﴾ [5].

---

١ - سورة الشورى آية : ١١.

٢ - سورة الأنعام آية : ٧١.

٣ - سورة القيامة آية : ٢٢-٢٣.

٤ - سورة القمر آية : ٥٥.

٥ - البخاري : تفسير القرآن (٤٥٨١) , ومسلم : الإيمان (١٨٣) , وأحمد (٢/٢٧٥) , والدارمي : الرقاق (٢٨٠١).

وَقَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ ﴿ **لَا تَمْتَلِئُ اَلنَّارُ حَتَّى يَضَعَ اَلْجَبَّارُ فِيهَا قَدَمَهُ, فَتَقُولُ قَطْ قَطْ, وَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ** ﴾ [1].

وَقَالَ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ-رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُ- ﴿ **لَقَدْ ضَحِكَ اَللَّهُ مِمَّا فَعَلْتَ بِضَيْفِك اَلْبَارِحَةَ** ﴾ [2].

وَقَالَ فِيمَا بَلَغَنَا : ﴿ **إِنَّ اَللَّهَ لَيَضْحَكُ مِنْ أَزَلِّكُمْ وَقُنُوطِكُمْ وَسُرْعَةِ إِجَابَتِكُمْ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ اَلْعَرَبِ: إِنَّ رَبَّنَا لَيَضْحَكُ قَالَ : نَعَمْ قَالَ: لَا نَعْدَمُ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا** ﴾ [3] فِي أَشْبَاهٍ لِهَذَا مِمَّا لَمْ نُحْصِهِ. وَقَالَ اَللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١ ﴾ [4] [اَلشُّورَى:١١] ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ ﴾ [5] [اَلطُّورُ: ٤٨] وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ۝٣٩ ﴾ [6] [طَه: ٣٩] وَقَالَ: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ ﴾ [7] [ص:٧٥]وَقَالَ ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧ بِسْمِ ﴾ [8] [اَلزُّمَرُ : ٦٧].

فَوَاَللَّهِ مَا دَلَّهُمْ عَلَى عِظَمِ مَا وَصَفَ مِنْ نَفْسِهِ, وَمَا تُحِيطُ بِهِ قَبْضَتُهُ إِلَّا صِغَرُ نَظِيرُهَا مِنْهُمْ عِنْدَهُمْ, إِنَّ ذَلِكَ اَلَّذِي أَلْقَى فِي رَوْعِهِمْ, وَخَلَقَ عَلَى مَعْرِفَةِ قُلُوبِهِمْ, فَمَا وَصَفَ اَللَّهُ مِنْ نَفْسِهِ فَسَمَّاهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ سَمَّيْنَاهُ كَمَا سَمَّاهُ, وَلَمْ نَتَكَلَّفْ مِنْهُ صِفَةَ مَا سِوَاهُ-لَا هَذَا وَلَا هَذَا-لَا نَجْحَدُ مَا وَصَفَ وَلَا نَتَكَلَّفُ مَعْرِفَةَ مَا لَمْ يَصِفْ.

---

١ - البخاري : تفسير القرآن (٤٨٤٨) , ومسلم : الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٤٨) , والترمذي : تفسير القرآن (٣٢٧٢) , وأحمد (١٣٤/٣).

٢ - البخاري : تفسير القرآن (٤٨٨٩) , ومسلم : الأشربة (٢٠٥٤) , والترمذي : تفسير القرآن (٣٣٠٤).

٣ - ابن ماجه : المقدمة (١٨١) , وأحمد (١١/٤).

٤ - سورة الشورى آية : ١١.

٥ - سورة الطور آية : ٤٨.

٦ - سورة طه آية : ٣٩.

٧ - سورة ص آية : ٧٥.

٨ - سورة الزمر آية : ٦٧.

اِعْلَمْ رَحِمَكَ اَللَّهُ-أَنَّ اَلْعِصْمَةَ فِي اَلدِّينِ أَنْ تَنْتَهِيَ فِي اَلدِّينِ حَيْثُ اِنْتَهَى بِكَ وَلَا تُجَاوِزْ مَا حُدَّ لَكَ فَإِنَّهُ مِنْ قِوَامِ اَلدِّينِ مَعْرِفَةُ اَلْمَعْرُوفِ وَإِنْكَارُ اَلْمُنْكَرِ, فَمَا بُسِطَتْ عَلَيْهِ اَلْمَعْرِفَةُ وَسَكَنَتْ إِلَيْهِ اَلْأَفْئِدَةُ وَذُكِرَ أَصْلُهُ فِي اَلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَتَوَارَثَ عِلْمَهُ اَلْأُمَّةُ, فَلَا تَخَافَنَّ فِي ذِكْرِهِ وَصِفَتِهِ مِنْ رَبِّكَ مَا وَصَفَهُ مِنْ نَفْسِهِ عَيْبًا, وَلَا تُكَلِّفَنَّ لِمَا وَصَفَ لَكَ مِنْ ذَلِكَ قَدْرًا.

وَمَا أَنْكَرَتْهُ نَفْسُكَ, وَلَمْ تَجِدْ ذِكْرَهُ فِي كِتَابِ رَبِّكَ وَلَا فِي اَلْحَدِيثِ عَنْ نَبِيِّكَ-مِنْ ذِكْرِ رَبِّكَ- فَلَا تَتَكَلَّفَنَّ عِلْمَهُ بِعَقْلِكَ, وَلَا تَصِفْهُ بِلِسَانِكَ وَاصْمُتْ عَنْهُ كَمَا صَمَتَ اَلرَّبُّ عَنْهُ مِنْ نَفْسِهِ, فَإِنَّ تَكَلُّفَكَ مَعْرِفَةَ مَا لَمْ يَصِفْ مِنْ نَفْسِهِ كَإِنْكَارِكَ مَا وَصَفَ مِنْهَا, فَكَمَا أَعْظَمْتَ مَا جَحَدَ اَلْجَاحِدُونَ مِمَّا وَصَفَ مِنْ نَفْسِهِ, فَكَذَلِكَ أَعْظِمْ تَكَلُّفَ مَا وَصَفَ اَلْوَاصِفُونَ مِمَّا لَمْ يَصِفْ مِنْهَا.

فَقَدْ-وَاَللَّهِ- عَزَّ اَلْمُسْلِمُونَ اَلَّذِينَ يَعْرِفُونَ اَلْمَعْرُوفَ وَبِمَعْرِفَتِهِمْ يُعْرَفُ, وَيُنْكِرُونَ اَلْمُنْكَرَ وَبِإِنْكَارِهِمْ يُنْكَرَ, وَيَسْمَعُونَ مَا وَصَفَ اَللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ هَذَا فِي كِتَابِهِ, مَا يَبْلُغُهُمْ مِثْلُهُ عَنْ نَبِيِّهِ, فَمَا مَرِضَ مِنْ ذِكْرِ هَذَا وَتَسْمِيَتِهِ قَلْبُ مُسْلِمٍ, وَلَا تَكَلَّفَ صِفَةَ قُدْرَةٍ وَلَا تَسْمِيَةَ غَيْرِهِ مِنْ اَلرَّبِّ مُؤْمِنٌ.

وَمَا ذُكِرَ عَنْ اَلرَّسُولِ ﷺ أَنَّهُ سَمَّاهُ مِنْ صِفَةِ رَبِّهِ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَا سَمَّى وَمَا وَصَفَ اَلرَّبُّ مِنْ نَفْسِهِ.

وَالرَّاسِخُونَ فِي اَلْعِلْمِ-اَلْوَاقِفُونَ حَيْثُ اِنْتَهَى عِلْمُهُمْ, اَلْوَاصِفُونَ لِرَبِّهِمْ بِمَا وَصَفَ مِنْ نَفْسِهِ, اَلتَّارِكُونَ لِمَا تَرَكَ مِنْ ذِكْرِهَا- لَا يُنْكِرُونَ صِفَةَ مَا سَمَّى مِنْهَا جَحْدًا, وَلَا يَتَكَلَّفُونَ وَصْفَهُ بِمَا لَمْ يُسَمِّ تَعَمُّقًا, لِأَنَّ اَلْحَقَّ تَرْكُ مَا تَرَكَ وَتَسْمِيَةُ مَا سَمَّى ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥ ﴾ [1] [اَلنِّسَاء: ١١٥].

وَهَذَا كُلُّهُ كَلَامُ اِبْنِ اَلْمَاجِشُونَ فَتَدَبَّرْهُ, وَانْظُرْ كَيْفَ أَثْبَتَ اَلصِّفَاتِ وَنَفَى عِلْمَ اَلْكَيْفِيَّةِ مُوَافِقًا لِغَيْرِهِ مِنْ اَلْأَئِمَّةِ وَكَيْفَ أَنْكَرَ عَلَى مَنْ نَفَى اَلصِّفَاتِ بِأَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْ إِثْبَاتِهَا كَذَا وَكَذَا كَمَا تَقُولُهُ اَلْجَهْمِيَّةُ: أَنَّهُ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا أَوْ عَرَضًا فَيَكُونُ.

وَفِي كِتَابِ " اَلْفِقْهُ اَلْأَكْبَرُ " اَلْمَشْهُورُ عِنْدَ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ اَلَّذِي رَوَوْهُ بِالْإِسْنَادِ عَنْ أَبِي مُطِيعٍ "

١ - سورة النساء آية : ١١٥.

اَلْحَكَمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ اَلْبَلْخِيِّ " قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا حَنِيفَةَ عَنْ اَلْفِقْهِ اَلْأَكْبَرِ فَقَالَ : لَا تُكَفِّرَنَّ أَحَدًا بِذَنْبٍ, وَلَا تَنْفِ أَحَدًا بِهِ مِنْ اَلْإِيمَانِ, وَتَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنْ اَلْمُنْكَرِ, وَتَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ. وَلَا تَتَبَرَّأْ مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اَللَّهِ ﷺ وَلَا تُوَالِي أَحَدًا دُونَ أَحَدٍ, وَأَنْ تَرُدَّ أَمْرَ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ إِلَى اَللَّهِ ﷻ.

قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: اَلْفِقْهُ اَلْأَكْبَرُ فِي اَلدِّينِ خَيْرٌ مِنْ اَلْفِقْهِ فِي اَلْعِلْمِ, وَلَأَنْ يَفْقَهَ اَلرَّجُلُ كَيْفَ يَعْبُدُ رَبَّهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَجْمَعَ اَلْعِلْمَ اَلْكَثِيرَ اهـــ.

قَالَ أَبُو مُطِيعٍ : قُلْتُ : أَخْبِرْنِي عَنْ أَفْضَلِ اَلْفِقْهِ قَالَ : تَعَلُّمُ اَلرَّجُلِ اَلْإِيمَانَ, وَالشَّرَائِعَ وَالسُّنَنَ, وَالْحُدُودَ, وَاخْتِلَافَ اَلْأَئِمَّةِ, وَذَكَرَ مَسَائِلَ اَلْإِيمَانِ, ثُمَّ ذَكَرَ مَسَائِلَ اَلْقَدَرِ, وَالرَّدَّ عَلَى اَلْقَدَرِيَّةِ بِكَلَامٍ حَسَنٍ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهُ.

ثُمَّ قَالَ: قُلْتُ: فَمَا تَقُولُ فِيمَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنْ اَلْمُنْكَرِ فَيَتْبَعُهُ عَلَى ذَلِكَ أُنَاسٌ فَيَخْرُجُ عَلَى اَلْجَمَاعَةِ هَلْ تَرَى ذَلِكَ قَالَ : لَا, قُلْتُ : وَلِمَ. وَقَدْ أَمَرَ اَللَّهُ وَرَسُولُهُ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ اَلْمُنْكَرِ وَهُوَ فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ, قَالَ: كَذَلِكَ وَلَكِنْ مَا يُفْسِدُونَ أَكْثَرُ مِمَّا يُصْلِحُونَ مِنْ سَفْكِ اَلدِّمَاءِ وَاسْتِحْلَالِ اَلْحَرَامِ.

قَالَ: وَذَكَرَ اَلْكَلَامَ فِي قِتَالِ اَلْخَوَارِجِ وَالْبُغَاةِ إِلَى أَنْ قَالَ: قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ عَمَّنْ قَالَ: لَا أَعْرِفُ رَبِّي فِي اَلسَّمَاءِ أَمْ فِي اَلْأَرْضِ فَقَدْ كَفَرَ, لِأَنَّ اَللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [1] [طَه: ٥] وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ.

قُلْتُ: فَإِنْ قَالَ إِنَّهُ عَلَى اَلْعَرْشِ اِسْتَوَى, وَلَكِنَّهُ يَقُولُ لَا أَدْرِي أَلْعَرْشُ فِي اَلسَّمَاءِ أَمْ فِي اَلْأَرْضِ قَالَ: هُوَ كَافِرٌ لِأَنَّهُ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ فِي اَلسَّمَاءِ , لِأَنَّهُ تَعَالَى فِي أَعْلَى عِلِّيِّينِهِ وَأَنَّهُ يُدْعَى مِنْ أَعْلَى لَا مِنْ أَسْفَلَ- وَفِي لَفْظٍ- سَأَلْتُ أَبَا حَنِيفَةَ عَمَّنْ يَقُولُ لَا أَعْرِفُ رَبِّي فِي اَلسَّمَاءِ أَمْ فِي اَلْأَرْضِ, قَالَ : قَدْ كَفَرَ, لِأَنَّ اَللَّهَ

---

١ – سورة طه آية : ٥.

تَعَالَى يَقُولُ ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝ ﴾ [1] [طه:٥] وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ, قَالَ : فَإِنَّهُ يَقُولُ: عَلَى اَلْعَرْشِ اِسْتَوَى وَلَكِنْ لَا يَدْرِي أَلْعَرْشُ فِي اَلْأَرْضِ أَوْ فِي اَلسَّمَاءِ, قَالَ : إذَا أَنْكَرَ أَنَّهُ فِي اَلسَّمَاءِ فَقَدْ كَفَرَ.

فَفِي هَذَا اَلْكَلَامِ اَلْمَشْهُورِ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ عِنْدَ أَصْحَابِهِ أَنَّهُ كَفَّرَ اَلْوَاقِفَ اَلَّذِي يَقُولُ : لَا أَعْرِفُ رَبِّي فِي اَلسَّمَاءِ أَمْ فِي اَلْأَرْضِ, فَكَيْفَ يَكُونُ اَلْجَاحِدُ اَلنَّافِي اَلَّذِي يَقُولُ: لَيْسَ فِي اَلسَّمَاءِ أَوْ لَيْسَ فِي اَلْأَرْضِ وَلَا فِي اَلسَّمَاءِ وَاحْتَجَّ عَلَى كُفْرِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝ ﴾ [2] [طه:٥] قَالَ وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ. وَبَيَّنَ بِهَذَا أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝ ﴾ [3] يُبَيِّنُ أَنَّ اَللَّهَ فَوْقَ اَلسَّمَاوَاتِ, فَوْقَ اَلْعَرْشِ, وَأَنَّ اَلِاسْتِوَاءَ عَلَى اَلْعَرْشِ دَلَّ عَلَى أَنَّ اَللَّهَ نَفْسَهُ فَوْقَ اَلْعَرْشِ, ثُمَّ أَرْدَفَ ذَلِكَ بِتَكْفِيرِ مَنْ قَالَ إنَّهُ عَلَى اَلْعَرْشِ اِسْتَوَى, وَلَكِنْ تَوَقَّفَ فِي كَوْنِ اَلْعَرْشِ فِي اَلسَّمَاءِ أَمْ فِي اَلْأَرْضِ, قَالَ: لِأَنَّهُ أَنْكَرَ أَنَّهُ فِي اَلسَّمَاءِ أَمْ فِي اَلْأَرْضِ, قَالَ: لِأَنَّهُ أَنْكَرَ أَنَّهُ فِي اَلسَّمَاءِ لِأَنَّ اَللَّهَ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ, وَأَنَّهُ يُدْعَى مِنْ أَعْلَى لَا مِنْ أَسْفَلَ, وَهَذَا تَصْرِيحٌ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ بِتَكْفِيرِ مَنْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ اَللَّهُ فِي اَلسَّمَاءِ وَاحْتَجَّ عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّ اَللَّهَ تَعَالَى فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ وَأَنَّهُ يُدْعَى مِنْ أَعْلَى لَا مِنْ أَسْفَلَ وَكُلٌّ مِنْ هَاتَيْنِ اَلْحُجَّتَيْنِ فِطْرِيَّةٌ عَقْلِيَّةٌ, فَإِنَّ اَلْقُلُوبَ مَفْطُورَةٌ عَلَى اَلْإِقْرَارِ بِأَنَّ اَللَّهَ فِي اَلْعُلُوِّ, وَعَلَى أَنَّهُ يُدْعَى مِنْ أَعْلَى لَا مِنْ أَسْفَلَ, وَقَدْ جَاءَ اَللَّفْظُ صَرِيحًا عَنْهُ بِذَلِكَ فَقَالَ: إذَا أَنْكَرَ أَنَّهُ فِي اَلسَّمَاءِ فَقَدْ كَفَرَ.

وَرَوَى هَذَا اَللَّفْظَ عَنْهُ بِالْإِسْنَادِ شَيْخُ اَلْإِسْلَامِ أَبُو إِسْمَاعِيلَ اَلْأَنْصَارِيُّ اَلْهَرَوِيُّ بِإِسْنَادِهِ فِي كِتَابِ " اَلْفَارُوقِ".

وَرَوَى هُوَ أَيْضًا وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ أَنَّ هِشَامَ بْنَ عُبَيْدِ اَللَّهِ اَلرَّازِيَّ- صَاحِبَ مُحَمَّدِ بْنِ اَلْحَسَنِ, قَاضِيَ اَلرَّيِّ- حَبَسَ رَجُلاً فِي اَلتَّجَهُّمِ, فَتَابَ فَجِيءَ بِهِ إلَى هِشَامٍ لِيُطْلِقَهُ فَقَالَ: اَلْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى اَلتَّوْبَةِ, فَامْتَحَنَهُ

---

١ – سورة طه آية : ٥.

٢ – سورة طه آية : ٥.

٣ – سورة طه آية : ٥.

هِشَامٌ فَقَالَ: أَتَشْهَدُ أَنَّ اَللَّهَ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ اَللَّهَ عَلَى عَرْشِهِ, وَلَا أَدْرِي مَا بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ. فَقَالَ " رَدُّوهُ إِلَى اَلْحَبْسِ فَإِنَّهُ لَمْ يَتُبْ".

وَرَوَى أَيْضًا عَنْ يَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ اَلرَّازِيِّ أَنَّهُ قَالَ:" إِنَّ اَللَّهَ عَلَى اَلْعَرْشِ بَائِنٌ مِنْ اَلْخَلْقِ, وَقَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا, وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا, لَا يَشُكُّ فِي هَذِهِ اَلْمَقَالَةِ إِلَّا جَهْمِيٌّ رَدِيءٌ ضِلِّيلٌ, وَهَالِكٌ مُرْتَابٌ, يَمْزُجُ اَللَّهَ بِخَلْقِهِ وَيَخْلِطُ مِنْهُ اَلذَّاتَ بِالْأَقْذَارِ وَالْأَنْتَانِ".

وَرَوَى أَيْضًا عَنْ اِبْنِ اَلْمَدِينِيِّ لَمَّا سُئِلَ مَا قَوْلُ أَهْلِ اَلْجَمَاعَةِ قَالَ:" يُؤْمِنُونَ بِالرُّؤْيَةِ وَالْكَلَامِ, وَأَنَّ اَللَّهَ فَوْقَ اَلسَّمَاوَاتِ عَلَى اَلْعَرْشِ اِسْتَوَى, فَسُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ (١) [اَلْمُجَادَلَة:٧] فَقَالَ : اِقْرَأْ مَا قَبْلَهَا ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (٢)

وَرَوَى أَيْضًا عَنْ أَبِي عِيسَى اَلتِّرْمِذِيِّ قَالَ:" هُوَ عَلَى اَلْعَرْشِ كَمَا وَصَفَ فِي كِتَابِهِ, وعِلْمُهُ وَقُدْرَتُهُ وَسُلْطَانُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ".

وَرَوَى عَنْ أَبِي زُرْعَةَ اَلرَّازِيِّ أَنْ سُئِلَ عَنْ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ ﴾ (٣) [طه:٥] فَقَالَ :" تَفْسِيرُهُ كَمَا تَقْرَأُ, هُوَ عَلَى اَلْعَرْشِ وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ, مَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اَللَّهِ".

وَرَوَى أَبُو اَلْقَاسِمِ اللَّالَكَائِيُّ –صَاحِبُ أَبِي حَامِدٍ الْإِسْفَرَايِينِيِّ– فِي "أُصُولِ اَلسُّنَّةِ" بِإِسْنَادِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ اَلْحَسَنِ– صَاحِبِ أَبِي حَنِيفَةَ– قَالَ:" اِتَّفَقَ اَلْفُقَهَاءُ كُلُّهُمْ مِنْ اَلْمَشْرِقِ إِلَى اَلْمَغْرِبِ عَلَى اَلْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ اَلَّتِي جَاءَ بِهَا اَلثِّقَاتُ عَنْ رَسُولِ اَللَّهِ ﷺ فِي صِفَةِ اَلرَّبِّ ﷻ : مِنْ غَيْرِ تَفْسِيرٍ وَلَا وَصْفٍ وَلَا تَشْبِيهٍ فَمَنْ فَسَّرَ اَلْيَوْمَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ خَرَجَ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ اَلنَّبِيُّ ﷺ وَفَارَقَ اَلْجَمَاعَةَ, فَإِنَّهُمْ لَمْ يَصِفُوا وَلَمْ يُفَسِّرُوا, وَلَكِنْ أَفْتَوْا بِمَا فِي اَلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ثُمَّ سَكَتُوا, فَمَنْ قَالَ بِقَوْلِ جَهْمٍ فَقَدْ

---

١ – سورة المجادلة آية : ٧.

٢ – سورة المجادلة آية : ٧.

٣ – سورة طه آية : ٥.

فَارَقَ اَلْجَمَاعَةَ, فَإِنَّهُ وَصَفَهُ بِصِفَةٍ لَا شَيْءَ. اهـــ".

-مُحَمَّدُ بْنُ اَلْحَسَنِ أَخَذَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَطَبَقَتِهِمَا مِنْ اَلْعُلَمَاءِ- وَقَدْ حَكَى عَلَى هَذَا اَلْإِجْمَاعَ, وَأَخْبَرَ أَنَّ اَلْجَهْمِيَّةَ تَصِفُهُ بِالْأُمُورِ اَلسَّلْبِيَّةِ غَالِبًا أَوْ دَائِمًا.

وَقَوْلُهُ:" مِنْ غَيْرِ تَفْسِيرٍ " أَرَادَ بِهِ تَفْسِيرَ اَلْجَهْمِيَّةِ اَلْمُعَطِّلَةِ اَلَّذِينَ اِبْتَدَعُوا تَفْسِيرَ اَلصِّفَاتِ بِخِلَافِ مَا كَانَ عَلَيْهِ اَلصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ مِنْ اَلْإِثْبَاتِ".

وَرَوَى اَلْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ بِأَسَانِيدَ صَحِيحَةٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ اَلْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ:" هَذِهِ اَلْأَحَادِيثُ اَلَّتِي يَقُولُ فِيهَا ﴿ **ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ** ﴾ [1] و ﴿ **أَنَّ جَهَنَّمَ لَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ اَلْجَبَّارُ قَدَمَهُ فِيهَا** ﴾ [2] ﴿ **وَالْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ اَلْقَدَمَيْنِ** ﴾ وَهَذِهِ اَلْأَحَادِيثُ فِي اَلرُّؤْيَةِ هِيَ عِنْدَنَا حَقٌّ حَمَلَهَا اَلثِّقَاتُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ, غَيْرَ أَنَّا إِذَا سُئِلْنَا عَنْ تَفْسِيرِهَا وَلَا نُفَسِّرُهَا, وَمَا أَدْرَكْنَا أَحَدًا يُفَسِّرُهَا "اهـــ.

أَبُو عُبَيْدٍ أَحَدُ اَلْأَئِمَّةِ اَلْأَرْبَعَةِ اَلَّذِينَ هُمْ:" اَلشَّافِعِيُّ, وَأَحْمَدُ, وَإِسْحَاقُ, وَأَبُو عُبَيْدٍ, وَلَهُ مِنْ اَلْمَعْرِفَةِ بِالْفِقْهِ وَاللُّغَةِ وَالتَّأْوِيلِ مَا هُوَ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ, وَقَدْ كَانَ فِي اَلزَّمَانِ اَلَّذِي ظَهَرَتْ فِيهِ اَلْفِتَنُ وَالْأَهْوَاءُ وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ مَا أَدْرَكَ أَحَدًا مِنْ اَلْعُلَمَاءِ يُفَسِّرُهَا-أَيْ تَفْسِيرَ اَلْجَهْمِيَّةِ-.

وَرَوَى اللاَّلَكَائِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ اَلْمُبَارَكِ أَنَّ رَجُلاً قَالَ لَهُ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنِّي أَكْرَهُ اَلصِّفَةَ- يَعْنِي صِفَةَ اَلرَّبِّ- فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ اَلْمُبَارَكِ :" أَنَا أَشَدُّ اَلنَّاسِ كَرَاهَةً لِذَلِكَ وَلَكِنْ إِذَا نَطَقَ اَلْكِتَابُ بِشَيْءٍ قُلْنَا بِهِ, وَإِذَا جَاءَتْ اَلْآثَارُ بِشَيْءٍ جَسَرْنَا عَلَيْهِ" وَنَحْوُ هَذَا.

أَرَادَ اِبْنُ اَلْمُبَارَكِ: أَنَّا نَكْرَهُ أَنْ نَبْتَدِئَ بِوَصْفِ اَللَّهِ مِنْ ذَاتِ أَنْفُسِنَا حَتَّى يَجِيءَ بِهِ اَلْكِتَابُ وَالْآثَارُ.

وَرَوَى عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ وَغَيْرُهُ بِأَسَانِيدَ صِحَاحٍ عَنْ اِبْنِ اَلْمُبَارَكِ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: بِمَاذَا نَعْرِفُ رَبَّنَا قَالَ :" بِأَنَّهُ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ, وَلَا نَقُولُ كَمَا تَقُولُ اَلْجَهْمِيَّةُ :إِنَّهُ هَهُنَا فِي اَلْأَرْضِ,

---

١ - ابن ماجه : المقدمة (١٨١) , وأحمد (١١/٤).

٢ - البخاري : الأيمان والنذور (٦٦٦١) , ومسلم : الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٤٨) , والترمذي : تفسير القرآن (٣٢٧٢) , وأحمد (٢٢٩/٣).

وَهَكَذَا قَالَ اَلْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ.

وَرَوَى بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ حَرْبٍ- اَلْإِمَامِ- سَمِعْتُ حَمَّادَ بْنَ زَيْدٍ وَذَكَرَ هَؤُلَاءِ اَلْجَهْمِيَّةَ فَقَالَ:" إنَّمَا يُحَاوِلُونَ أَنْ يَقُولُوا لَيْسَ فِي اَلسَّمَاءِ شَيْءٌ".

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ- إمَامُ اَلْأَئِمَّةِ-:" مَنْ لَمْ يَقُلْ : إنَّ اَللَّهَ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ وَجَبَ أن يُسْتَتَابَ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ, ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى مَزْبَلَةٍ, لِئَلَّا يَتَأَذَّى بِنَتَنِ رِيحِهِ أَهْلُ اَلْقِبْلَةِ, وَلَا أَهْلُ اَلذِّمَّةِ" وَذَكَرَهُ عَنْهُ اَلْحَاكِمُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَقَدْ رَوَى عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ, عَنْ عَبَّادِ بْنِ اَلْعَوَّامِ اَلْوَاسِطِيِّ- إمَامِ أَهْلِ وَاسِطٍ , مِنْ طَبَقَةِ شُيُوخِ اَلشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ- قَالَ:" كَلَّمْتُ بِشْرَ اَلْمِرِّيسِيَّ, وَأَصْحَابَ بِشْرٍ فَرَأَيْتُ آخِرَ كَلَامِهِمْ يَنْتَهِي أَنْ يَقُولُوا لَيْسَ فِي اَلسَّمَاءِ شَيْءٌ".

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ- اَلْإِمَامِ اَلْمَشْهُورِ- أَنَّهُ قَالَ:" لَيْسَ فِي أَصْحَابِ اَلْأَهْوَاءِ شَرٌّ مِنْ أَصْحَابِ جَهْمٍ, يَدُورُونَ عَلَى أَنْ يَقُولُوا لَيْسَ فِي اَلسَّمَاءِ شَيْءٌ أَرَى وَاَللَّهِ أَنْ لَا يُنَاكَحُوا وَلَا يُورَّثُوا".

وَرَوَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي كِتَابِ اَلرَّدِّ عَلَى اَلْجَهْمِيَّةِ" عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ قَالَ:" أَصْحَابُ جَهْمٍ يُرِيدُونَ أَنْ يَقُولُوا: إنَّ اَللَّهَ لَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى , وَيُرِيدُونَ أَنْ يَقُولُوا: لَيْسَ فِي اَلسَّمَاءِ شَيْءٌ, وَأَنَّ اَللَّهَ لَيْسَ عَلَى اَلْعَرْشِ, أَرَى أَنْ يُسْتَتَابُوا فَإِنْ تَابُوا وَإِلَّا قُتِلُوا".

وَعَنْ اَلْأَصْمَعِيِّ قَالَ:" قَدِمَتْ امْرَأَةٌ جَهْمٍ فَنَزَلَتْ اَلدَّبَّاغِينَ فَقَالَ رَجُلٌ عِنْدَهَا: اَللَّهُ عَلَى عَرْشِهِ, فَقَالَتْ : مَحْدُودٌ عَلَى مَحْدُودٍ, وَقَالَ اَلْأَصْمَعِيُّ: كَافِرَةٌ بِهَذِهِ اَلْمَقَالَةِ".

وَعَنْ عَاصِمِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَاصِمٍ- شَيْخِ أَحْمَدَ وَالْبُخَارِيِّ وَطَبَقَتِهِمَا-قَالَ:" نَاظَرْتُ جَهْمًا, فَتَبَيَّنَ مِنْ كَلَامِهِ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ أَنَّ فِي اَلسَّمَاءِ رَبَّهُ".

وَرَوَى اَلْإِمَامُ أَحْمَدُ, ثَنَا سُرَيْجُ بْنُ اَلنُّعْمَانِ, قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ نَافِعٍ اَلصَّائِغَ, قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ يَقُولُ :" اَللَّهُ فِي اَلسَّمَاءِ, وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ, لَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ".

وَقَالَ اَلشَّافِعِيُّ :" خِلَافَةُ أَبِي بَكْرٍ ﷺ حَقٌّ قَضَاهَا اَللَّهُ فِي سَمَائِهِ وَجَمَعَ عَلَيْهِ قُلُوبَ عِبَادِهِ.

وَفِي اَلصَّحِيحِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَتْ زَيْنَبُ تَفْتَخِرُ عَلَى أَزْوَاجِ اَلنَّبِيِّ ﷺ تَقُولُ:" زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ وَزَوَّجَنِي اَللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ", وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِ اَلشَّافِعِيِّ.

وَقِصَّةُ أَبِي يُوسُفَ -صَاحِبِ أَبِي حَنِيفَةَ- مَشْهُورَةٌ فِي اِسْتِتَابَةِ بِشْرٍ اَلْمِرِّيسِيِّ حَتَّى هَرَبَ مِنْهُ لَمَّا أَنْكَرَ اَلصِّفَاتِ وَأَظْهَرَ قَوْلَ جَهْمٍ, قَدْ ذَكَرَهَا اِبْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَغَيْرُهُ.